@Tafsircenter

منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم

دراسة وصفية نقدية

محمد يسلم المجود

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

الخلاصة:

يناقش هذا البحث موضوعًا من أهم موضوعات الدراسات القرآنية المعاصرة، وهو سؤال الوحدة والانسجام في نظم القرآن الكريم (أو بنيته المادية)، وقد اتخذ البحث في هذا الموضوع اتجاهين مختلفين: اتجاه الدراسات الإسلامية القديمة والحديثة، الذي يرى أن النظم القرآني محكم البنية، متصف بالوحدة والانسجام؛ والاتجاه الغالب في الدراسات الاستشراقية، الذي يرى أنّ القرآن مفكّك البنية لا يتصف بالوحدة والانسجام، ولا بدّ من إعادة ترتيبه حتى يتماشى مع المنطق.

وثمّة اتجاه جديد في الدراسات الغربيّة الأدبيّة المعاصرة للقرآن الكريم، من أبرز رموزه الباحث البلجيكي ميشيل كويبرس، يرى أن السبب في الخلاف حول بنية القرآن يعود إلى دراسته بمنطق البلاغة اليونانية الغريب عليه، وأنه لكي نحلّ إشكال بنية القرآن أو نظمه، لا بدّ أن ندرسه من خلال منهج البلاغة الساميّة.

يشرح هذا البحث مفهوم منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم، عند ميشيل كويبرس، ومصادره، والأسس النظرية والمنهجية التي يقوم عليها، وأهميته في حلّ إشكال بنية القرآن الكريم، ويقدِّم جملة من الملاحظات التقييمية لهذا المنهج.

إشكالية البحث وأسئلته:

المشكلة التي يدرسها هذا البحث هي: إلى أيّ مدى يمكن أن يسهم منهج البلاغة الساميّة في حلّ إشكالية بنية القرآن الكريم، وتجاوز الفرضيات الخاطئة بشأنها، وفي خضمّ محاولة الإجابة عن هذه الإشكالية المهمّة، تَرِد جملة أسئلة معرفية فرعية على رأسها سؤال المفهوم؛ لتحديد المقصود بمنهج البلاغة الساميّة، يليه سؤال السياق الذي يندرج فيه هذا المنهج على المستويين؛ الإسلامي والغربي، يطرح بعد ذلك سؤال المنهج المُجلِّي للخطوات الإجرائية التي تقوم عليها دراسة بنية القرآن من منظور البلاغة الساميّة، يلي ذلك سؤال الثمرة المترتبة على تطبيق هذا المنهج في الدرس القرآني المعاصر، ثم سؤال النقد، الذي يفرض جملة استدراكات من شأنها أن تسهم في استنبات هذا المنهج في الدراسات القرآنية في العالم الإسلامي استنباتًا حسنًا.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يسلّط الضوء على واحد من أحدث المناهج الغربية المعاصرة في المقاربة النصيّة للقرآن الكريم، ويعرِّف الباحثين في العالم الإسلامي بمنهج لا يزال -رغم أهميته- غير معروف على ساحة الدرس القرآني المعاصر، ويبرز إمكانية الاستفادة من هذا المنهج في عدد من قضايا الدرس القرآني المعاصرة.

أهداف البحث:

١. بيان مفهوم منهج البلاغة الساميّة.

٢. عرض الأسس النظرية والضوابط الإجرائية لتطبيق هذا المنهج على القرآن الكريم.

٣. المقارنة بين منهج البلاغة الساميّة ومنهج دراسة نظام القرآن عند الفراهي.

٤. تِبْيَانُ أهمية منهج البلاغة الساميّة في إثراء النقاش حول جملة من قضايا الدرس القرآني المعاصر.

٥. تقييم منهج البلاغة الساميّة من خلال تقديم جملة من الملاحظات النقدية التي يرى الباحث أنّ تلافيَها قد يجعل من هذا المنهج واحدًا من أهم المناهج المعاصرة في مقاربة بنية النصّ القرآني.

منهج البحث:

نرومُ من خلال هذا البحث تِبْيانَ مفهوم منهج البلاغة الساميّة وآليات تطبيقه على القرآن الكريم، كما قدّمها ميشيل كويبرس، وفي سبيل ذلك سنقوم بتتبُّع ورَصْد الأفكار النظرية والمنهجية التي بنَى عليها كويبرس نظريته، في مقاربة بنية القرآن الكريم.

وسنستعينُ في إعداد هذا البحث بالمنهج الوصفي التحليلي، من أجل استقراء الأسس النظرية والضوابط الإجرائية لتطبيق منهج البلاغة الساميّة على القرآن الكريم، وبالمنهج النقدي في تقديم جملة من الملاحظات النقديّة التي من شأنها إثراء هذه المقاربة.

الدراسات السابقة:

رغم الأهمية البالغة لمنهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم، الذي قام بالتنظير له وتطبيقه ميشيل كويبرس، فإني لم أجد دراساتٍ أو بحوثًا سابقة تتناوله بالبحث والتحليل والتمحيص، وربما يكون السبب في ذلك حداثة كتابات ميشيل كويبرس، وأن أغلبها لم يترجم إلّا في السنوات القليلة الماضية، وهذا ما دعاني إلى دراسته وتحليله ونقده في هذا البحث.

خطة البحث:

جاءت خطة هذا البحث في خمسة عناصر: مقدمة، تستعرض الخلفية التاريخية لمنهج البلاغة الساميّة، ومبحث أول، يقدِّم مدخلًا مفاهيميًّا لألفاظ العنوان: (المنهج، البلاغة، الساميّة، البنية)، ومبحث ثانٍ، يستعرض مصدر منهج البلاغة الساميّة ومبررات نقله من الدراسات الكتابية إلى الدراسات القرآنية، وأسسه النظرية والمنهجية، ويقارنه بأحد المناهج الإسلامية التي درست نظام القرآن، يليه مبحث ثالث، يستعرض ثمرة هذا المنهج، ويقدم جملة من الملاحظات التقييمية لهذا المنهج، ثم يختم البحث باستشراف الآفاق التي قد يفتحها هذا المنهج.

مقدمة:

نزل القرآن الكريم بلغة عربية خلبَت عقول المتلقِّين الأُوَل، واختلفت عن أساليب البلاغة والتعبير التي كانوا يألفونها، فليست هي لغة الشعر الذي أَلِفُوه، ولا السجع الذي عهدوه، وقد نقلَت لنا كتبُ التاريخ مشاهدَ متعدّدة من إجلال المشركين -قبل المسلمين- لبلاغة القرآن الكريم، من ذلك: ما نُقل عن الوليد بن المغيرة واصفًا القرآن الكريم بقوله: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمِر أعلاه، مُغدِق أسفله، وإنه لَيعلو ولا يُعلى».

ولم يصل إلينا من خلال كتب التاريخ وعلوم القرآن أنّ أحدًا من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم قد استشكل بنية القرآن الكريم وطرائق التعبير التي يستخدمها، صحيح أن بعضهم حاول تصنيف القرآن ضمن الخطابات الشائعة لديهم كالشعر والسجع، وأنهم اعترضوا على كون القرآن لم ينزل جملة واحدة كما نزلت الكتب السابقة على الأنبياء جملة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[الفرقان: ٣٢]، وهذا يدلّ على أنهم كانوا يَعُون أن للقرآن بنية متكاملة تختلف عن الأنماط التي عرفوها.

بيد أنه لم يَكَد المسلمون يختلطون بغيرهم من الشعوب إبّان الفتوحات الإسلامية، حتى بدَت بعض الأسئلة تثار من الطاعنين في القرآن، وكان من

ضمنها أسئلة تتعلق ببنية القرآن الماديّة، وقد تصدَّى العلماء المسلمون القدامى للردّ عليها في مؤلفاتِ نَظْم القرآن وإعجازه مثل: النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ)، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (ت ٣٨٨هـ)، والرسالة الشافية للجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وإعجاز القرآن للباقلاني (ت ٤٠٢هـ)، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للجرجاني، وغيرها.

ولم يقتصر الأمر عند المتقدمين على مباحث الإعجاز وما ورَد فيها من إشارات إلى نَظْم القرآن وأساليبه وطرائقه في التعبير، فرأوا أن مسألة علاقة الآيات فيما بينها وعلاقة السور بعضها ببعض تحتاج إلى مزيدٍ من النظر، ومن هنا بدأ البحث عن هذه العلاقات والصلات بين السور والآيات يتطوّر حتى أصبح فنًّا مستقلًّا، عُرِف بعلم المناسبة، أُفرِد بالتصنيف، وأُلِّفَت تفاسير تعتني بتطبيقاته[١].

وفي العصر الحديث، ومع انفتاح العقل التفسيري على أسئلة الحداثة وضغوطها، بدأ البحث عن مناهج تفسيرية جديدة للقرآن الكريم، تحلّ

(١) من أبرز العلماء الذين اهتموا بعلم المناسبة قديمًا: الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره: مفاتيح الغيب، وابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) في كتابه: البرهان في تناسب القرآن، وبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن، وبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) في تفسيره: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

إشكالات وقصور المنهج التقليدي التجزيئي، وكان من أسباب البحث عن منهج جديد في تفسير القرآن -كما لا حظ مستنصر مير- «وجود إدراك متزايد بين المسلمين في القرن العشرين بأن مهمّة إعادة تأويل الإسلام يجب أن تبدأ بإعادة تأويل القرآن، وفق أسس منهجية جديدة، من أهمها أن يكون السياق القرآني هو صاحب الكلمة الفصل في تحديد معنى النصّ القرآني»[(١)].

ومن هنا برز عددٌ من المناهج التي أَوْلَت السياق النصّي في القرآن عناية خاصّة، مثل: منهج التفسير الموضوعي[(٢)] الذي يقوم المفسّر فيه بتقسيم السورة إلى عدد من الأقسام بناء على العلاقات الموضوعية والمقصدية بينها، ومنهج

(١) مستنصر مير، السورة وحدة نصيّة: تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين، ترجمة: حازم محيي الدين، لمؤمنون بلا حدود ٢٠١٧م على هذا الرابط: https://www.mominoun.com/auteur/1023 ص١٣.

(٢) يطلق التفسير الموضوعي على نوعين جديدين من خدمة الكتاب العزيز: **أولهما**: تتبُّع قضيةٍ ما في القرآن كلّه وشرحها في ضوء الوحي النازل خلال ربع قرن تقريبًا. **والآخر**: النظر المتغلغل في السورة الواحدة لمعرفة المحور الذي تدور عليه، والخيوط الخفية التي تجعل أولها تمهيدًا لآخرها، وآخرها تصديقًا لأولها، أو بتعبير سريع تكوين صورة عاجلة لملامح السورة كلها. انظر: الغزالي، محمد، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ط٤ (القاهرة: دار الشروق ٢٠٠٣م) ص١٢٨.
ويعرف مصطفى مسلم التفسير الموضوعي بأنه: «علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر». انظر: مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ط٤ (بيروت: دار القلم ٢٠٠٥م)، ص١٦.

التفسير البياني[١] الذي يُعنى بالجوانب البلاغية كمدخل لتجديد مناهج تفسير القرآن في العصر الحديث.

كما ظهرت جهود متميزة في دراسة بنية القرآن لعددٍ من المفسرين، من أبرزهم الإمام عبد الحميد الفراهي في تفسيره: نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان[٢]، وتلميذه أمين أحسن الإصلاحي في تفسيره المؤلف باللغة الأوردية: تدبّر القرآن، والشيخ سعيد حوَّى في تفسيره المسمى: الأساس في التفسير، وقد ركّز هؤلاء الثلاثة بالأخصّ على أهمية السياق والبنية في فهم القرآن الكريم، وقدّموا نظرات ثاقبة في هذا المجال.

(١) يُعدّ أمين الخولي من أبرز المؤسّسين لهذا الاتجاه الأدبي في التفسير. انظر: الخولي، أمين. دراسات إسلامية. (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٦)، ومن هدي القرآن. (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٦)، وقد تابعَت عائشة عبد الرحمن وآخرون أعمال الخولي. انظر: عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان. (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩)، وتبدو الصلة بين منهج البلاغة الساميّة ومنهج التفسير البياني وطيدة، خصوصًا في إبراز جماليات النصّ القرآني، والبحث في أسرار البلاغة والأسلوب، والنظرة السياقية للنصّ القرآني، ومن المستغرب أن يمرّ ميشيل كويبرس على تراث مدرسة التفسير البياني بصمت.

(٢) انظر: الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ط٢ (الهند: الدائرة الحميدية ١٩٩١)، والفراهي، عبد الحميد، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، اعتنى به عبيد الله الفراهي، (تونس: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م).

وقد كان للسجال مع المستشرقين القائلين بأنّ القرآن مفكّك البنية ولا يتصف بالوحدة والانسجام -دَوْرٌ في ظهور بعض هذه المقاربات المتعدّدة، التي تهدف إلى إقامة الدليل على وحدة النصّ القرآني.

هذا عن تطوّر دراسة وحدة النصّ القرآني في العالم الإسلامي، وإذا انتقلنا إلى وضع المسألة في الدراسات الاستشراقية نجد أنها قد مرّت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة النقد لوحدة النصّ القرآني الذي دأب عليه كثيرٌ من المستشرقين، فقد كان تيودر نولدكه -رائد مدرسة النقد التاريخي الغربي للقرآن- يصف القرآن بأنه مفكّك البنية، ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر لا علاقة له به، وقد يعود إلى الموضوع الأول، وقد لا يعود، ويرى أنه: «غير متناسب الأجزاء»، ويضيف أنه: «كان على محمد أن يتأمّل طويلًا في محتوى وحيه قبل أن يبرزه للعالم، لكنه لم يُعِرْ اهتمامًا كبيرًا لأسلوبه»[(١)].

ولم يكتف نولدكه وغيره من أصحاب الاتجاه النقدي التاريخي للقرآن بانتقاد وحدة النصّ القرآني والقول بتفكّكها وعدم انسجامها، وإنما قاموا بمحاولات لإعادة ترتيب القرآن حتى يكون منطقيًّا بزعمهم.

---

(١) تيودر نولدكه: تاريخ القرآن تعديل فريديريش شفالي، ترجمة: جورج تامر (بيروت: مؤسسة كونراد أدنارو ٢٠٠٤) ص٤٤٣، ٤٤٤.

أما المرحلة الثانية: التي بدأت في العقود الأخيرة من القرن المنصرم، فقد تغيّر فيها الموقف من وحدة النصّ القرآني، حيث بدأ بعض الباحثين الغربيين يهتمون بدراسة بنية القرآن المادية، دراسة تزامنية (Synchronic) مستعينين في ذلك ببعض المنهجيات الأدبيّة والبلاغية التي طُبّقت من قَبْل على العهدَيْن القديم والجديد، وإلى ما وصلت إليه مدارس النقد الأدبي الحديث من الاحتفاء بدراسة بنية الأعمال الأدبية في شكلها المادي، وقد توصّل أغلب هؤلاء إلى القول بوحدة النصّ القرآني، مما ترتّب عليه تجاوز فرضيات مدرسة النقد التاريخي للقرآن ومزاعمها حول عدم انسجام النصّ القرآني.

ومن أبرز الباحثين الغربيّين الذين اشتغلوا بالدراسة التزامنية للنصّ القرآني: بير كاربون دي كابرونا (Pierre Crapn de Caprona)[١]، وأنجيليكا نويفرت (Angelika Neuwirth)[٢]، ونيل ربنسون (Neal Robinson)[٣]، وماتياس زاهنيير (Mathias Zahniser)[٤]. وريموند فارين (Raymond Farrin)[٥].

---

(١) Pierre Crapon de Caprona, Le Coran, aux sources de la parole oraculaire: structures rythmiques des sourates mecquoises, Paris: Publications Orientalistes de France, 1981.

(٢) Angelika Neuwirth, "Form and Structure of the Qur'an", Encyclopedia of the Qur'an, ed Jane McAuliffe, Leiden: Brill, 2001 – 2007.

(٣) Neal Robinson, Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text, London: SCM Press, 1996

(٤) Matthias Zahniser, Major Transitions and Thematic Borders in Two Long Sūras: Al-Baqara and al-Nisa', in Issa Boullata, Literary Structures of Religious Meaning, Richmond: Curzon Press, 2000.

(٥) Raymond Farrin structure and quranic interpretation: a study of symmetry and coherence In Islam's Holy text, (Ashland U.S.A white cloud press, 2014).

وفي سياق الدراسة التزامنية للنصّ القرآني هذا تندرج مساهمة ميشيل كويبرس في تطبيق منهج البلاغة الساميّة على بنية القرآن الكريم، حيث أصدر ثلاثة كتب في دراسة بنية القرآن من منظور البلاغة الساميّة، بيَّن فيها معالم منهج البلاغة الساميّة، وأهميته في فهم رسالة القرآن الكريم، وتصحيح عدد من قضايا الدرس القرآني المعاصرة في العالمين الغربي والإسلامي.

فمن هو ميشيل كويبرس؟ وما منهج البلاغة الساميّة؟ وما مبررات نقله من الدراسات الكتابية إلى الدراسات القرآنية؟ وما الأسس المنهجية لتطبيقه على القرآن الكريم؟ وما فائدته للدّرس القرآني المعاصر؟ وما أهم الملاحظات النقديّة على هذا المنهج؟ هذا ما نحاول الإجابة عليه في المباحث التالية.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي حول منهج البلاغة الساميّة:

نتناول في هذا المبحث التمهيدي التعريف بميشيل كويبرس -رائد تطبيق منهج البلاغة الساميّة على القرآن الكريم- ونشرح المصطلحات الواردة في هذا البحث، والمفاهيم ذات العلاقة بها في الدراسات الإسلامية لنظم القرآن الكريم، في النقاط التالية:

أولًا: التعريف بميشيل كويبرس:

ولد ميشيل كويبرس عام ١٩٤١م، وهو بلجيكي الجنسية، حاصل على درجة الدكتوراه في الآداب الفارسيّة من جامعة طهران، يعيش في مصر منذ عام ١٩٨٩م، ويعمل عضوًا في معهد الآباء الدومنيكان للدراسات الشرقية في القاهرة، (IDEO) متخصّص في الدراسة الأدبيّة للقرآن الكريم.

تدور أغلب أعماله حول تطبيق منهج البلاغة الساميّة في دراسة نظم القرآن الكريم، وقد خصّص لهذا الغرض ثلاثة من أهم كتبه، وهي:

1. Le Festin : Une Lecture De La Sourate al-Ma'ida, Paris, Lethielleux2007.

ترجمه: عمرو عبد العاطي صالح، باسم: في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ونشرته دار المشرق في لبنان عام ٢٠١٦. قدم كويبرس في هذا الكتاب تطبيقًا عمليًّا لمنهجية تحليل بنية القرآن وفق منهج البلاغة الساميّة انطلاقًا من دراسة وتحليل سورة المائدة.

2. La Composition du Coran. Nazm al-Qur'ân, Paris, Gabalda, 2012.

ترجمه: عدنان المقراني وطارق منزو، باسم: في نظم القرآن، ونشرته دار المشرق في لبنان سنة ٢٠١٨. وقد خصّص كويبرس هذا الكتاب لعرض منهجية التحليل البلاغي لنظم القرآن من منظور البلاغة الساميّة، وقدّم فيه نماذج تطبيقية عديدة من القرآن الكريم، أثبت من خلالها أهمية هذا المنهج وأثره في فهم بنية القرآن الكريم.

3. Une apocalypse coranique. Lecture des trente-trois dernières sourates du Coran, Gabalda, Paris, 2014.

جمَع كويبرس في هذا الكتاب -مع بعض التعديلات والإضافات- مقالات سبق أن نشرها في تحليل نظم السور الثلاثين الأخيرة من القرآن الكريم، وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الإنكليزية[١].

(١) Michel Cuypers, A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Qur'an translated by Jerry Ryan (U.S.A Lockwood press,2018).

ثانيًا: مفهوم منهج البلاغة الساميّة:

١. المنهج لغةً واصطلاحًا:

يقول ابن فارس عن دلالة المنهج في اللغة: «نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج الطريق، ونهج الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضًا، والجمع المناهج. والآخر (الثاني)، الانقطاع، وأتانا فلان ينهج إذا أتى مبهورًا منقطع النفَس»[(١)].

ويعرف المنهج اصطلاحًا: بأنه: «طريق البحث عن الحقيقة في أيّ علم من العلوم، أو في أيّ نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية»[(٢)]، كما يعرف أيضًا بأنه: «جملة القواعد المصوغة من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها في فرع من فروع المعرفة»[(٣)].

(١) أبو الحسن بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١ (بيروت: دار الجيل ١٩١١) ج٥، ص٣٦١.

(٢) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٧ (القاهرة: دار المعارف ١٩٧٧)، ج١، ص٣٦.

(٣) بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي (الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٧٧)، ص٣، ٤.

٢. البلاغة لغةً واصطلاحًا:

البلاغة لغةً: من قولهم بلَغْت الغاية إذا انتهيت إليها، ومبلغ الشيء: منتهاه، والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة؛ لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه؛ وسميت البلاغة بلاغة؛ لأنك تبلغ بها إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضًا[١].

عرفت البلاغة قديمًا باعتبارها الأداة الأهم في تحليل النصوص الأدبيّة وفهمها؛ لكونها تقوم على إبداع الأفكار، وترتيبها، وتقديم الحجج والبراهين التي من شأنها إقناع المخاطبين بها، وأخيرًا باعتبارها أداة في إدراك جمال النصّ الأدبي[٢].

والبلاغة في الدراسات القرآنية كما يقول الخطابي هي: «وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إمّا تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[٣].

---

(١) العسكري أبو هلال، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار الفكر العربي)، ص٢٠١.

(٢) رولان مينيه وآخرون: طريقة التحليل البلاغي والتفسير، (بيروت: دار المشرق ٢٠٠٤)، ص٣٠٣.

(٣) الخطابي، بيان إعجاز القرآن في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله وحمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥)، ص٣٩.

والبلاغة عند الجرجاني: «لا تعني الشكل العام الذي يميز المنظوم عن المنثور، ولكنها تعني البنية الداخلية للنصّ والعلاقات القائمة بين الألفاظ من أجل إنتاج الدلالة»[١].

وفي الدراسات الأدبية الحديثة تعني البلاغة: «مجموعة من التقنيات التي تسمح بوصف عملية إنتاج الخطابات والنصوص وإعادة بنائها، وبذلك تظلّ الأداة الجيدة التي تسعفنا في وصف الكيفية التي ينبني بها النصّ»[٢].

٣. مفهوم البلاغة الساميّة:

البلاغة الساميّة مركّب إضافي مثل البلاغة العربية، يقصد به: أساليب التركيب المستخدمة في اللغات الساميّة[٣]، وهي: «لهجات سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأرمن شمالًا إلى البحر العربي جنوبًا، ومن خليج العجم

(١) زيتون، علي مهدي، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، (بيروت، دار المشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م)، ص٤١.

(٢) كبدي فاركا، البلاغة وإنتاج النصّ، كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: محمد العمري، (أفريقيا الشرق)، ص١١٩.

(٣) أول من أطلق على لغات الجنس السامي اسم (اللغات الساميّة) هو المستشرق الألماني شلوتزر (Schloetzer) في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة ١٧٨١ ب.م؛ لأن معظم الشعوب والأمم التي تكلمت أو تتكلم هذه اللغات من أولاد سام بن نوح. ينظر: ربحي كمال، المعجم الحديث عبري-عربي للمترجم وللطالب الجامعي، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٩٢)، ص٥.

شرقًا إلى البحر الأحمر غربًا، وهي منسوبة إلى سام بن نوح عليه السلام، باعتبار أن المتكلمين بها هم في الجملة من نسله»[١]، واللغات الساميّة ترجع كلّها إلى أصول ثلاثة، هي: الآرامية، والعبرانية، والعربية. وهي أمهات اللغات الساميّة المتبقية[٢].

ومن المنظور الاصطلاحي يعرّف ميشيل كويبرس -رائد تطبيق منهج البلاغة الساميّة على القرآن- هذه البلاغة بأنها: دراسة ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتكون منها النصّ، لا على مستوى المفردات والجمل فحسب، وإنما على مستوى البنية العامّة التي يتشكّل منها النصّ[٣]، أو قل هي: دراسة أنواع التناظر الذي يحكم النصوص الساميّة القديمة، كالمقابلة والتوازي وغيرها، في مستويات النصّ المختلفة[٤]، ولذلك فهي بمثابة القواعد النحوية لنظم النصوص، فإذا كان علم الصرف والإعراب يحكمان بناء الجملة فإن قواعد البلاغة الساميّة تتحكم في نظام النصوص التي كانت متداولة في الشرق الأوسط القديم[٥].

(١) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، (القاهرة: مكتبة الإيمان ١٩٩٧)، ص٦١.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢.

(٣) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، مصدر سابق، ص٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٨.

(٥) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، ط١ (بيروت: دار المشرق ٢٠١٦)، ص٤١١.

والذي يميز البلاغة الساميّة من البلاغة اليونانية؛ كونها لا تهتم بدراسات البنيات الأسلوبية والصور البلاغية والمحسنات البديعية؛ كالاستعارة والتشبيه والمجاز والطباق وغيرها، ولكنها تدرس تراكيب النصّ اعتمادًا على عدد من صور النظم التي يتركب النصّ من خلالها، ومن جهة أخرى فهي لا تقوم على الأسلوب الخطي المستقيم في تركيب الخطاب: (مقدمة، وعرض، وخاتمة) كما هو منطق البلاغة اليونانية[١].

ولعلّ أقرب المفاهيم التي درست بنية القرآن من مفهوم البلاغة الساميّة: مفهوم علم المناسبة الذي يعرّفه البقاعي بأنه: «علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سِرُّ البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال...، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو»[٢].

فهذا التعريف لا يكاد يختلف عن التعريف الذي يقدّمه ميشيل كويبرس للبلاغة الساميّة، فهي وعلم المناسبة معًا يبحثان في العلل الثاوية خلف ترتيب وتركيب الخطاب، وهما معًا بمثابة: (نحو للخطاب) في مقابل (نحو الجملة).

---

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢١.

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: محمد عبد الحميد، شيخ المدرسة النظامية، (حيدر آباد ١٩٦٩)، ج١، ص٦.

٤. البنية لغةً واصطلاحًا:

لكلمة البنية مدلولات كثيرة توردها المعاجم العربية، منها: أن «البِنية بالكسر والبُنية بالضم: ما بنيته، وهو البنى والبنى... يقال: بنية، وهي مثل: رشوة ورشا، كأن البنية الهيئة التي بنيت عليها مثل: المشية والركبة، والبنى بالضم مقصور مثل: البنى، يقال: بنية وبنى وبنية وبنى بكسر الباء مقصور مثل: جزية وجزى، وفلان صحيح البنية أي: الفطرة، وأبنيت الرجل أعطيته بنى وما تبني به الأرض»[(١)].

أمّا اصطلاحًا: فإنّ البنية في التعريفات الحديثة تعني: «نسق عقلاني يحدّد وحدة الشيء، وهي القانون الذي يفسره»[(٢)]، ويعرفها شتراوس بأنها: «نسق يتألّف من عناصر يكون من شأن أيّ تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولًا في باقي العناصر الأخرى»[(٣)].

ومصطلح البنية حديث في حقل الدراسات الأدبية المعاصرة، لم تعرفه الدراسات القرآنية القديمة، ولكنها استخدمت مصطلحات أخرى تعبر عن هذا المفهوم كليًّا أو جزئيًّا، مثل: النظم، والنظام.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط٨ (بيروت: دار صادر ٢٠١٤)، ج ١، ص١٦٠.

(٢) الموسوعة الفلسفية، ط:١، معهد الإنماء العربي ١٩٨٦، ج١، ص١٩٨.

(٣) عز الدين المناصرة، علم الشعريات: قراءة مونتاجية في أدبية الأدب، ط١، (عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٧م)، ص٥٤٠.

تقوم إذًا دراسة بنية القرآن أو نظم القرآن الكريم من منظور البلاغة الساميّة عند ميشيل كويبرس على الاهتمام بتحليل العناصر اللغوية المكونة للآية أو الآيات القرآنية، تحليلًا يجمع بين دراسة المفردات والجمل والتراكيب، ليصل إلى الوحدات النصيّة الأكبر، ومن ثم إلى نظام السورة القرآنية كلّها، ويكشف صور البنية العامة التي تنتظم من خلالها.

المبحث الثاني: منهج البلاغة الساميّة؛ مصادره، وأسسه، وأهميته:

سنقف في هذا المبحث على نشأة البلاغة الساميّة، ومبررات نقلها من الدراسات الكتابية إلى دراسة نظم القرآن الكريم، والأهداف المؤمّلة من ذلك، ونستعرض الأسس المنهجية، والخطوات الإجرائية لتطبيق منهج البلاغة الساميّة على القرآن الكريم، والثمرة المتوخاة من وراء ذلك في النقاط التالية:

أولًا: البلاغة الساميّة من الدراسات الكتابية إلى الدراسات القرآنية:

١. نشأة البلاغة الساميّة:

يعود مصطلح (البلاغة الساميّة) إلى حقل الدراسات الكتابية، فقد أطلق على المقاربة التزامنية (Synchronic Approch) التي استخدمت في النصوص العبرية أول الأمر مصطلح (البلاغة العبريّة)، ثم مصطلح (البلاغة الكتابية)، وبعد أن لاحظ المهتمون بهذه البلاغة أنّ الأسس التي تقوم عليها لا تقتصر على النصوص الكتابية بل توجد في النصوص الساميّة القديمة بصفة عامّة أصبحت تسمى: (البلاغة الساميّة)[١].

وتعود نشأة الدراسات الكتابية لبنية نصوص الكتاب المقدّس إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي حيث نشر روبرت لوث (Robert Loth) دروسًا

(١) رولان مينيه وآخرون: طريقة التحليل البلاغي والتفسير، ص٢٩٨.

حول شعر العبرانيين المقدّس، حلَّل من خلالها الكتاب المقدّس تحليلًا شعريًّا، وبيّن أن الشعر العبري مؤلّف من مفصلين متوازيين من خلال ثلاثة أنواع من التوازي هي: الترادف، والتضاد، والسجع[١].

وفيما بعد اكتشف الألماني جان- ألبير بينجيل (Jean- Albrert Bengel) البناء المحوري، ولاحظ أهميته، وميّز بين نوعين من التوازي المحوري هما: البناء المحوري المباشر، والبناء المحوري المقلوب، في الأول: تتابع عناصر النصّ بترتيب مباشر، وفي الثاني تتابع بشكل مقلوب[٢].

وقد تابَع جون جب (John Jebb) أعمال بنجل، واكتشف (التوازي الانطوائي) الذي يعني أن يأتي المقطع الأول موازيًا للأخير، وما قبل الأخير موازيًا لما بعد الأول، وهكذا باتجاه الوسط[٣].

ويعتبر توماس بويز (Thomas Boys) المؤسّس الحقيقي لطريقة التحليل البلاغي لنصوص الكتاب المقدّس، من خلال ترتيبه لأعمال السابقين، ووضعه معايير شكليّة لقياس أوجه التناظر، والعلاقات بين العناصر اللغوية المشكلة

(١) انظر: رولان مينيه وآخرون، طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، (بيروت: دار المشرق ١٩٩٣)، ص٥٦، ٥٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٦٢.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٦٥.

للـنصّ، مثـل الكلمـات المتطابقـة والمترادفـة، والضـمائر وزمـن الأفعـال، والتعارض بين الإثبات والنفي[١].

وفي القرن العشرين نشر عالم الكتاب المقدّس نيلس ويلهلم لوند (Nils Wilhelm Lund 1885-1945) كتابه: البناء المحوري العكسي في العهد الجديد، وبيّن فيه أن النصّ الواحد يمكن تحليله على عدّة مستويات، وتكمن إضافة لوند الحقيقية في كونه أول من حاول استخراج قوانين لتنظيم البناء المحوري العكسي في النصوص الكتابية[٢].

ومع أن كويبرس قد اطلع على هذه الدراسات، وواكب تطوّر طريقة التحليل البلاغي للنصوص الكتابية، فإنه يؤكّد أن مصدره الأساس في تطبيق البلاغة الساميّة على القرآن الكريم يعود إلى كتابات أستاذه الأب اليسوعي رولان مينيه، الذي طوّر منهجًا في دراسة قواعد نظم نصوص الكتاب المقدّس وضع خلاصته في كتابه: رسالة في البلاغة الكتابية[٣].

وبالإضافة إلى الدراسات الكتابية فقد استفاد كويبرس -على ما يبدو- من اللسانيات التزامنية ومناهج النقد الأدبي الحديث، وخصوصًا مذاهب النقد

(١) رولان مينيه وآخرون، طريقة التحليل البلاغي والتفسير، ص٦٨.

(٢) المصدر السابق ، ص٧٨.

(٣) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص١٦.

الداخلي للنصّ الأدبي، التي لا تنشغل بدراسة تاريخ النصّ ومؤلفه ومجتمعه، وإنما تركّز على النصّ نفسه في صيغته النهائية، إذ يرى أصحاب مدرسة النقد الداخلي للنصوص الأدبية أنّ سرّ العمل الأدبي يكمن في العمل الأدبي ذاته؛ في محوره الخاصّ، وفي شكله وبنيته[١].

٢. مبررات نقل منهج البلاغة الساميّة إلى الدراسات القرآنية:

يؤسّس ميشيل كويبرس اشتغاله بنقل تطبيق منهج البلاغة الساميّة إلى القرآن الكريم على أسباب نظرية ومنهجية، من أهمها:

أ) اشتراك لغة القرآن الكريم مع لغة الكتاب المقدّس في الجذر السامي:

يبدو كويبرس واعيًا بما قد يثيره تطبيق هذا المنهج على القرآن الكريم من توجّس مؤسّس على خصوصية النّظم القرآني؛ ولذلك يبرّر كويبرس ملاءمة هذا المنهج للتطبيق على القرآن الكريم بحجّتين؛ تاريخية، ومنهجية: أمّا الحجة التاريخية فهي اشتراك لغة القرآن الكريم مع لغة الكتاب المقدّس في الجذر السامي، ما يعني أنهما يشتركان في نفس الخصائص التي تحكم بنية الخطاب السامي[٢].

---

(١) رولان مينيه وآخرون، طريقة التحليل البلاغي والتفسير، ص٢٩٩.

(٢) ميشيل كويبرس، نظرة جديدة إلى نظم القرآن، ترجمة: يوسف حبيب نقولا حبيب على الرابط: https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers ص٥.

وأما الحجة المنهجيّة فتتمثّل في كون هذا المنهج قد أثبت نجاعته عندما اعتمد في تفسير الكتاب المقدّس الذي واجهت المهتمين به نفس المشكلة التي توجد في القرآن، وهي أن بعض نصوص الكتاب المقدّس تظهر وكأنها تتألّف من مجموعة من المقاطع المستقلّة نوعًا ما عن بعضها بعضًا[١].

ب) قصور الدراسات السابقة لنظم القرآن:

الأساس الثاني في نقل منهج البلاغة الساميّة إلى القرآن الكريم هو حاجة القرآن نفسه لهذا المنهج، ذلك أنه: «على الرغم من الفوضى الظاهرية للنصّ القرآني التي يتّفق الجميع على الاعتراف بها، ورغم ضخامة التراث الإسلامي، في علوم القرآن»[٢] -كما يقول كويبرس-؛ فإن الدراسات الإسلامية من أبي بكر النيسابوري والزركشي في العصور الوسطى إلى أمين أحسن الإصلاحي وسعيد حوّى في العصر الحالي قد ظلّت عاجزة عن تقديم منهج متماسك في تحليل بنية القرآن الكريم[٣]، والأمر في ذلك يعود لسببين رئيسين من وجهة نظر كويبرس:

السبب الأول: هو التأثير المبكّر لمنطق البلاغة اليوناني الخطّيّ على دراسة نظم القرآن، وقد تجلى ذلك في طريقة البحث في علم المناسبة عن علاقات

(١) ميشيل كويبرس، نظرة جديدة إلى نظم القرآن، ص٥.

(٢) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٥.

(٣) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص١١.

الآيات بما قبلها وما بعدها، دون التقدّم إلى البحث عن المناسبة التي تنتظم الكلام من أوله إلى آخره حتى يصير جملة واحدة[١].

أمّا السبب الثاني: فهو الاقتصار على دراسة الجملة لا النظام كلّه، والتركيز على دراسة الصور البلاغية كالمجاز والاستعارة والتشبيه، بينما كان ينبغي أن ينصبّ الاهتمام على دراسة الصور التي تشكل البنية العامة للنصّ[٢].

الاستثناء الوحيد في هذه الدراسات -كما يقول كويبرس- هو ما قام به كلّ من الشيخ سعيد حوّى في كتابه: الأساس في التفسير، حيث قسم السورة إلى أقسام ومقاطع تحتوي على مجموعات نصيّة متعددة، حاول أن يبرز من خلالها وحدة وتناسق النصّ القرآني[٣]؛ وما توصل إليه أمين أحسن الإصلاحي من كون معظم السور القرآنية -إن لم يكن جميعها- تقوم على الثنائية والتقابل الموضوعي وتكون أزواجًا يكمل بعضها بعضًا، وأنّ القرآن كلّه ينقسم إلى سبع مجموعات كبيرة، تدور كلّ مجموعة منها حول موضوع واحد[٤]، وهذه

(١) ميشيل كويبرس، نظرة جديدة إلى نظم القرآن، وميشيل كويبرس، في نظم القرآن، مصدر سابق، ص١٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٨.

(٣) سعيد حوّى، الأساس في التفسير، ط٦ (القاهرة دار السلام ١٤٢٤هـ)، ص٣٠-٣٢، وانظر أيضًا: كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص٤، ٥.

(٤) Mustansir Mir, *Coherence on the Qur'an*, (Washington: American trust publication, 1986) p. 25-40، وميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢٦، وفي نظم سورة المائدة، ص٥٠٤.

المحاولة تمثل كما يقول كويبرس: «خطوة أولى نحو بلورة نظرية شاملة حول نظم القرآن على أساس مبدأ التناظر»[١].

ومع ذلك فإنّ الدراسة التي قام بها كلّ من سعيد حوّى، وأمين الإصلاحي، هي بحسب كويبرس: «دراسة بنائية لا تعتمد إلّا على الروابط الموضوعية، أو المنطقية بين أجزاء النصّ، ما قد يعرّض التفسير إلى خطر الذاتية من قبل المفسر»[٢]؛ ولذلك فهي لا تصلح لأن تكون منهجًا في دراسة النظم القرآني.

٣. أهداف تطبيق المنهج على القرآن الكريم:

يسعى كويبرس من وراء تطبيق منهج البلاغة الساميّة على القرآن الكريم إلى جملة أهداف من أهمها:

١. تقديم منهج واضح المعالم والأسس في دراسة نظم القرآن الكريم يختلف عن المناهج البلاغية الموروثة عن التراث الأدبي العربي والغربي معًا[٣].

(١) ميشيل كويبرس، نظرة جديدة إلى نظم القرآن، مصدر سابق، ص١٣-٢٥.

(٢) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص٥٠٤.

(٣) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٥.

٢. فهم رسالة القرآن فهمًا صحيحًا؛ ذلك أن التحليل البلاغي (السامي) يقوم على الدراسة الدقيقة لكلّ آية، بل لكلّ جملة في كلّ آية، ووضعها في سياقها النصّي، وبنيتها التركيبية، بعيدًا عن منطق القراءة الذرية، والتأويل التجزيئي المتعسّف، الذي يقتطع الآيات القرآنية من سياقاتها النصيّة، لتوافق آراء هذا المفسّر أو ذاك[١].

٣. تصحيح الفرضية الرائجة في الدراسات الغربية للقرآن حول تفكّك القرآن وافتقاده الوحدة النصيّة والانسجام[٢].

٤. تجسير الهوّة بين المسلمين والمسيحيين من خلال تعزيز المعرفة المتبادلة بالكتب المقدّسة، والاستجابة لبعض الأصوات الإسلامية التي تنادي بتطبيق مناهج تفسير الكتاب المقدّس على القرآن الكريم[٣].

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٧، وفي نظم سورة المائدة، ص٤٩٣.

(٢) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٨.

(٣) المرجع السابق، ص٨.

ثانيًا: الأسس المنهجية لتطبيق البلاغة الساميّة على القرآن الكريم:

الحقّ أنه إذا كانت الدراسات القديمة والحديثة قد تناولت بنية القرآن وخصائصها، ووسائل الكشف عنها، فإنّ سؤال المنهج (بمفهومه الحديث) قد ظلّ غائبًا عن جلّها، وحتى تلك الدراسات التي طرحت سؤال المنهج في دراسة النظم القرآني مثل دراسات عبد الحميد الفراهي القيّمة في هذا المجال لم تنل من الدراسة والتمحيص والمتابعة ما تستحق.

ما قام به ميشيل كويبرس في دراسة بنية القرآن هو أنه حاول أن يسدّ هذا الفراغ فقدّم دراسة لبنية القرآن انطلاقًا من البلاغة الساميّة، ترتكز على أسس منهجية، وتسير وفق خطوات إجرائية واضحة، بيّن من خلالها الأسس التي تقوم عليها بنية القرآن والقواعد المنهجية الكفيلة بالكشف عنها.

وقد تميز عمل كويبرس عن أعمال السابقين له في الدراسات النصيّة للقرآن -إذا استثنينا الإمام عبد الحميد الفراهي- بميزتين أساسيتين:

الأولى: أنه حدّد ثلاثة أشكال من النظم لا يخرج النصّ القرآني -في اعتقاده- عن واحدة منها، وهي: النظم المتوازي، والنظم المحوري، والنظم المرآتي.

وأمّا الثانية: فهي أنه وضع ضوابط منهجية للكشف عن هذه الصور النظمية، تتمثل في الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: فهم النصّ القرآني المراد تحليله:

الأساس الأول للتحليل البلاغي للنصّ عند كويبرس هو فهم ألفاظ القرآن الكريم وتحصيل معانيها من جهة اللغة (على مستوى النحو، والتصريف، والاشتقاق) عن طريق الاستعانة بقواميس اللغة العربية؛ كلسان العرب لابن منظور، وتفاسير القرآن الكريم؛ مثل: تفسير الطبري، والزمخشري، والرازي، وغيرهم، إضافة إلى الدراسات اللغوية الحديثة للقرآن الكريم[(١)].

وهو في هذا لا يختلف عن ما دَرج عليه معظم مفسري القرآن الكريم، ولكن كويبرس لا يكتفي بالاستعانة بالتراث الإسلامي، وإنما يضيف إلى ذلك الاستعانة بالكتب المقدّسة في فهم وتوجيه معاني القرآن الكريم، ويتعسّف في ذلك في أحيان كثيرة، كما سنعرض له في مبحث المآخذ النقدية على هذا المنهج.

الخطوة الثانية: إعادة كتابة النصّ القرآني:

في هذه الخطوة تتم إعادة كتابة النصّ القرآني الذي يراد كشف بنيته، على هيئة كتابة الشعر، وتمييز الوحدات الدلالية المتشابهة؛ على سبيل المثال تكتب الآيات الخمس الأولى من سورة الانشقاق بالطريقة التالية:

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص١٧٣.

=	إِذَا	السَّمَاءُ	انشَقَّتْ
–	وأَذِنَتْ	لِرَبِّهَا	وَحُقَّتْ
=	وَإِذَا	الْأَرْضُ	مُدَّتْ
=	وَأَلْقَتْ	مَا فِيهَا	وَتَخَلَّتْ
–	وَأَذِنَتْ	لِرَبِّهَا	وَحُقَّتْ

وهنا نلاحظ استخدام الرموز: خط فاصل – تساوي = في هذه الآيات، وقد تُستخدَم بالإضافة إليها رموزٌ أخرى مثل: (+ علامة الزائد / نقطتان : / نقطتان مكررتان :: / نجمة *)، وذلك لرصد التشابه بين العناصر اللغوية، في هذه الآيات على سبيل المثال استخدم الرمز (=) في الآية الأولى والثالثة، للتنبيه على التقابل الذي يحكم العلاقة بينهما.

والهدف من هذه الخطوة، اكتشاف وتحديد العناصر والعبارات المتناسبة، من خلال رصد الدلائل النظمية الشكلية والموضوعية، التي سوف نناقشها لاحقًا، مثل: التكرار، والترادف، والتضاد والتجانس، هنا مثلًا نلاحظ التقابل بين: {إذا **السَّمَاءُ** انشَقَّتْ} بين: {وَإِذَا **الْأَرْضُ** مُدَّتْ} وتكرار عبارة: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} وهكذا[1]. والمقصد من كتابة النصّ بهذه الطريقة تقني بحت، فيمكن كتابة النصّ بعد اكتشاف بنيته بالطريقة التي يُكتب بها في المصحف.

(١) انظر: ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص١٧٣-١٧٦.

الخطوة الثالثة: التدرج في تحليل مستويات النصّ القرآني:

انتقد ميشيل كويبرس المنهج الذي سلكه السابقون في دراسة بنية القرآن الكريم من خلال مسألتين: **الأولى**، أنهم يبدؤون في تقسيم السورة انطلاقًا من موضوعاتها ومقاصدها، قبل القيام بخطوة تحليل المستويات النصيّة للسورة انطلاقًا من الجزء إلى الكلّ أو من المفردة إلى البنية العامة[١].

وأمّا المسألة الثانية، فهي: أنهم لا يتخذون من (المؤشرات النظمية) الموجودة في النصّ القرآني نفسه دليلًا لهم في عملية التقسيم، بينما يذهب كويبرس إلى أن الاعتماد على دلائل النظم هو الذي يساعد في تقسيم نصّ السورة، ويبرز أن نصّها ليس موزعًا حسب موضوعات أو مقاصد يمكن أن تختلف الآراء بشأنها، ولكنه ذو بنية شديدة التعقيد، يبدأ من المفردات التي تشكّل جملًا ترتبط فيما بينها بعلاقات نظميّة لتشكّل مستوى أول للنصّ، ثم ترتبط هذه الجمل بجمل أخرى مشكلة مستوى أعلى من المستوى الأول، وهكذا دواليك حتى نصل إلى السورة بأكملها، في ما يشبه البنيان الذي يبدأ من اللّبِنَة وينتهي بالعمارة[٢].

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص٣٨.

وإذا كان تقسيم نصّ السورة القرآنية استنادًا إلى موضوعاتها ومقاصدها ليس هو الطريق الأمثل في الكشف عن وحدة بنيتها، فإن السبيل الوحيد لذلك هو التدرّج في تحليل مستويات نصّ السورة من الأسفل إلى الأعلى؛ لذلك يقترح كويبرس أن يقوم العمل في تحليل النصوص القرآنية على مرحلتين:

أ) **المرحلة الأولى**: تحليل المستويات النصيّة الدنيا، وهي بحسب اصطلاح كويبرس:

١. العنصر أو (المفردة lexeme)، وهي الوحدة اللغوية الصغرى.

٢. المفصل (member)، هو المستوى الأول في التنظيم البلاغي، وهو قريب من تعريف الجملة في اللغة العربية، وغالبًا ما يوافق المفصل وحدة دلاليّة، إمّا جملة فعليّة قصيرة أو جملة اسميّة بدون فعل، وقد نجد مفاصل لا تحتوي إلّا على عنصر واحد بدون فعل.

٣. الفرع (segment) يتضمّن الفرع عادة مفصلًا واحدًا، أو اثنين، أو ثلاثة (ولا يزيد عن ذلك).

٤. القسم (Piece) كما يتكوّن الفرع من مفصلين أو ثلاثة يحتوي القسم على فرع واحد أو اثنين أو ثلاثة أفرع (ولا يزيد على ذلك مطلقًا).

٥. الجزء (Part) يتضمن الجزء قسمًا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة أقسام (ولا يزيد على ذلك)[١]. ويوضح الرسم أدناه تداخل هذه المستويات.

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٣٧-٦٢.

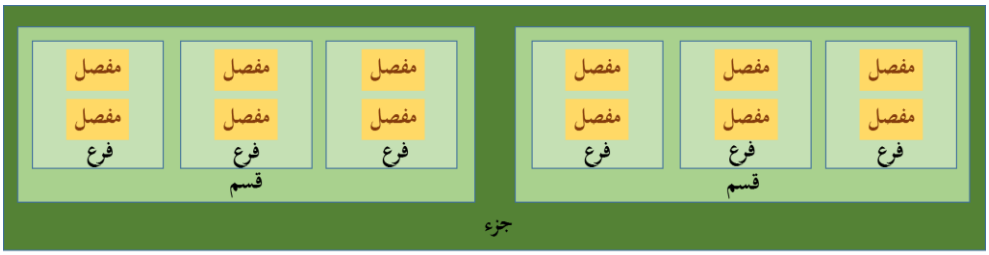

ب) **المرحلة الثانية**: تحليل المستويات النصيّة العليا، وهي:

١. المقطع (passage):

يتألّف المقطع من جزء واحد، أو أكثر، ومع أن أغلب قصار السور في القرآن لا تتألّف سوى من قسم أو جزء، فإنه يمكن اعتبارها مقطعًا بحجم القسم أو الجزء، على سبيل المثال: تتكون سورة الفاتحة من مقطع بحجم جزء مكون من ثلاثة أقسام.

٢. السلسلة (sequence):

هي المستوى الأعلى من المقطع، تتألّف من مقطع واحد أو أكثر، على سبيل المثال: تؤلف الآيات من (١٢-٢٠) من سورة المائدة سلسلة مبنية بناء محوريًّا.

٣. الشعبة (section):

هي المستوى الأعلى من السلسلة، وتتألف من سلسلة واحدة أو أكثر.

٤. الكتاب (book)[١]:

يتألّف من شعبة أو عدد من الشعب، والكتاب هو المستوى الأعلى، وهو بالنسبة لتطبيق هذا المنهج على القرآن يعني القرآن الكريم كلّه، ولكن ميشيل كويبرس يرى أنه لم يَحِن الوقت بعد لمعرفة نظام القرآن كلّه، وأن غاية ما توصل إليه البحث هو السور الطوال من القرآن[٢].

ويوضح هذا الشكل تداخل المستويات النصيّة العليا.

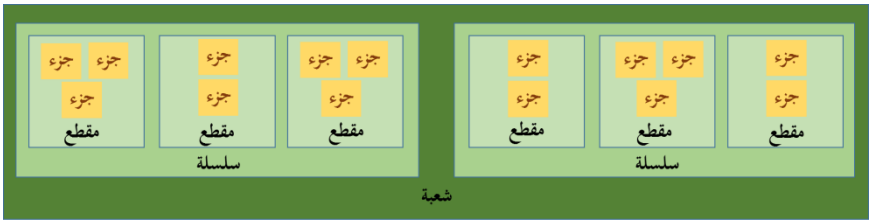

وما يميز هذه المستويات أنها يمكن أن تقرأ مستقلّة عمّا قبلها وما بعدها، بخلاف المستويات الدنيا التي تشكل جزءًا لا يمكن اقتطاعه عمّا قبله وما بعده. ثمة فرق آخر بين المستويات النصيّة الدنيا والعليا، وهو أن هذه الأخيرة يمكن أن تتألّف من أكثر من ثلاثة من المستويات التي تأتي قبلها بعكس (الفروع، والأقسام، والأجزاء) التي لا تتألف من أكثر من ثلاث مستويات من ما قبلها[٣].

---

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٦٨-٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٦٣.

ولا شك أنّ هذه القواعد التي سار عليها كويبرس في تحليل النصّ القرآني مفيدة في الانطلاق من معرفة الجزء إلى الكلّ؛ لأن العكس قد يكون سببًا في تجاوز بعض المعاني التي تؤخذ من السياق القريب للآيات، ولكن فائدتها ينبغي ألّا تتجاوز اعتبارها منارات استرشادية، تحقّق فهمًا أفضل لبنية القرآن الكريم، إلّا أننا نلاحظ أن كويبرس يجعل منها قواعد صارمة لا يمكن الخروج عليها، ولذلك تراه يشدّد على أنّ المستويات النصيّة الدنيا (الفرع، والجزء، والقسم) لا تزيد على ثلاثة من المستويات التي تقع قبلها، وإذا ورد نصّ قرآني يخرم اطراد هذه القاعدة فإنّ كويبرس لا يحاول أن يصححها أو يتراجع عنها، بل يقول إن هذا النصّ المخالف لقواعده ربما يكون إضافة متأخرة -أي إن الصحابة وربما مَن بعدَهم أضافوه إلى القرآن في فترة متأخرة-، من ذلك على سبيل المثال: قوله: إن ريتشارد بيل قد يكون محقًّا عندما اعتبر أن الآيات (٣٣-٣٧) من سورة الحاقة إضافة متأخّرة؛ وذلك لأنّ ضمّ هذه الآيات إلى الآيات التي قبلها (٣٠-٣٢) يضعف شدّة التناظر بين القسمَيْن السابقَيْن، أي الآيات: (١٩-٢٤)، والآيات (٢٥-٣٢)[١].

(١) ميشيل كويبرس، دليل تدريبي للتحليل البلاغي للقرآن الكريم: مثال (سورة الحاقة) (٦٩)، منشور على الرابط: https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers ، ص٣٥.

فهو هنا يتفق مع أقطاب مدرسة النقد التاريخي الذين ينتقدهم، ويجعل من قواعد التدرج في تحليل بنية القرآن التي يقترحها حكمًا على القرآن الكريم، لا وسائل منهجية في سبيل فهمه.

الخطوة الرابعة: الاعتماد على دلائل النَّظْم في تقسيم النصّ وتجزئته:

يشدّد كويبرس على الأهمية البالغة لدلائل أو علامات تقسيم النصّ والاستناد إليها أثناء العمل في تحليل النصّ القرآني؛ ذلك أنه في غياب وجود معايير واضحة للتقسيم سيكون تقسيم نصوص السورة مجالًا لتضارب الآراء، واختلاف وجهات النظر، ولذلك اعتمد كويبرس في تقسيم نصوص السورة القرآنية على عدد من علامات أو (مؤشرات النظم)، وهي:

١. مؤشرات النظم الدلالية:

المقصود بالمؤشرات الدلالية تلك العلاقة بين أجزاء النظم التي ترتبط بالناحية الدلالية، مثل: التطابق، والترادف، والتضاد، أو الانتماء لنفس الحقل الدلالي (الشمس والقمر، الأرض والبحر...)، أو التشابه في الصيغ النحوية، أو الالتفات بالإضافة إلى الجمل الحكمية، أو الأخلاقية، أو التشريعية.

فهذه الدلائل ينبغي الانتباه إليها؛ لأنها بمثابة الوقفات أو المنارات التي تدلّ على تجزئة النصّ القرآني وتقسيمه. على سبيل المثال: استخدم كويبرس معيار

الالتفات في تقسيم سورة الغاشية إلى ثلاثة أقسام؛ **القسم الأول**: الآيات: (١-١٦)، **والثاني**: الآيات: (١٧-٢٠)، **والثالث**: الآيات: (٢١-٢٦)[١].

٢. مؤشرات النظم الشكلية:

وهي المتعلقة بشكل النصّ، مثل: التشابه اللفظي، والتكرار، والسجع، والجناس بنوعيه: التام والناقص، والتشابه الإملائي والاستفهام، وغيرها. على سبيل المثال: قسم كويبرس الآيات من (١-١٥) من سورة الانشقاق إلى ثلاثة أقسام اعتمادًا على معيار السجع أو اختلاف الفواصل[٢].

٣. مواقع مؤشرات النظم:

تنقسم دلائل أو مؤشرات النظم (الشكلية والموضوعية) التي تم الحديث عنها إلى نوعين: مؤشرات تدلّ على التناظر التام، أي: المناسبة التامّة بين دلائل النّظم الموضوعية والشكلية، في مستويات النصّ المختلفة وهي قليلة، أمّا مؤشرات التناظر الجزئي التي تتشابه فيها بعض عناصر البنية المكونة للنصّ فهي الأكثر ورودًا -كما يقول كويبرس-، وتنقسم مؤشرات التناظر الجزئي إلى عدّة أنواع بحسب مكان التشابه والمناسبة بينها، فإذا كان التشابه بين بدايات

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص٥٩.

المستويات المكونة للنصّ سمي (**تشابه العناصر البدئيّة**)، وإذا كان التناسب بين خواتيم العناصر المكونة للنصّ أطلق عليه (**تشابه العناصر النهائيّة**)، وهذا قريب من تناسب المطالع والخواتيم المعروف في علم المناسبات، غير أنّ هذا قد يكون في الآيات والسور، وأمّا تناسب المطالع والخواتيم فقد تم الحديث عنهما في علم المناسبة على مستوى السورة.

وأمّا إذا كان التناسب بين العناصر التي تقع وسط البنية النصيّة فيسمى (**تناسب العناصر المركزيّة**)، وإذا كان التناسب في أوّل الوحدة المعنيّة وفي نهايتها بحيث يحدّ طرفَيها سمى (**تناسب العناصر الطرفيّة**)، أو في نهاية وحدة وبداية الوحدة اللاحقة للربط بينهما أطلق عليه (**تناسب العناصر الوصليّة**)[1].

والهدف من رصد دلائل النظم الشكلية والموضوعية في بداية البنى النصيّة ووسطها ونهايتها، هو الاعتماد عليها في تحديد البنية المناسبة للنصّ القرآني الذي يراد كشف بنيته.

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ترجمة: عدنان المقراني، وطارق منزو، ط١، (بيروت: دار المشرق ٢٠١٨)، ص١٢٥-١٤١.

٤. قواعد نيلس لوند:

بالإضافة إلى استخدام دلائل النّظم الموضوعية والشكلية، يعتمد كويبرس في تقسيم النصّ القرآني ومحاولة الكشف عن بنيته على قواعد يقول إنها تعود إلى عالم الكتاب المقدّس نيلس ويليام لوند (Nils Wilhelm Lund) حيث استخدمها في الكشف عن بنية النصوص المقدّسة، وقد اختار كويبرس منها خمس قواعد، يرى أنها الأكثر ملاءمة للنصّ القرآني، وهي:

١. **القاعدة الأولى**: أن وسط البنية النصيّة يكون دائمًا نقطة تحول (turning-point).

٢. **القاعدة الثانية**: أنه في الغالب يتم الانتقال في المركز من موضوع إلى موضوع آخر يقابله، ثم يعود النصّ إلى الموضوع الأول.

٣. **القاعدة الثالثة**: أن بعض المعاني أو الألفاظ تظهر في أطراف الوحدة النصية، وعند وسطها، ولا تظهر في مكان آخر.

٤. **القاعدة الرابعة**: قاعدة الانتقال من المركز إلى الأطراف، وتعني ظهور موضوع معيّن في محور بنية نصيّة، وفي أطراف بنية نصيّة أخرى موازية لها لمناسبةٍ بينهما.

٥. **القاعدة الخامسة**: أن بعض العبارات دائمًا ما تأتي لتغلق الوحدة النصية كما هو الحال بالنسبة لأسماء الله تعالى في القرآن الكريم[(١)].

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، مصدر سابق، ص١٤٨-١٦٠.

الخطوة الخامسة: الكشف عن صور النظم:

هذه الخطوات التي سبق الحديث عنها تعدّ وسائل في طريق الكشف عن المبادئ التي تقوم عليها بنية النصّ القرآني، وهي مبادئ ثلاثة: الثنائية، والتجاور، والتناظر الذي يأخذ أشكالًا ثلاثةً أو صورًا ثلاثًا لا يعدُوها.

أمّا الثنائية، فالمقصود بها: تلك العلاقة التي تكون بين عنصرين لغويين أو معنيين متقابلين في وحدة نصيةٍ ما[١]، وقد نبّه كويبرس إلى أن أغلب الآيات القرآنية تتألف من أزواج متوازية، وخاصّة عندما تتناول الآيات المجال الأخلاقي والأخروي، علاوة على استعمال القرآن الكريم بكثرة الثنائيات الكلية، مثل: الأرض والسماوات، والغيب والشهادة[٢].

وأمّا التجاور، فمعناه: (تتالي عبارتين بوجود أداة ربط وبدونها)[٣]، والتجاور مبدأ من مبادئ البلاغة الساميّة وهو كثير في القرآن، وقد أدى الجهلُ به إلى كثيرٍ من الأخطاء التي وقعت فيها مدرسة النقد التاريخي، والسبب في ذلك -كما يقول كويبرس- أنّ ترتيب النصوص في البلاغة الساميّة قد لا يتم فيه الإفصاح بدقّة عن العلاقات المفاهيمية التي تربط بينها بخلاف البلاغة اليونانية[٤].

---

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧.

ومع تنويه كويبرس بهاتين الخاصيتين فقد لاحظنا أن اهتمامه لا ينصبّ عليهما بقدر ما ينصب على الخاصية الثالثة خاصية (التناظر) التي يعدُّها أهم الخصائص التي تقوم عليها البلاغة الساميّة بصفة عامة، وبنية القرآن الكريم بصفة خاصة[1]، وللتناظر -كما يقول كويبرس- أشكال ثلاثة أو صور ثلاث لا يعدُوها، وهي:

الشكل الأول: البنية المتوازية (parallel construction):

المقصود بالبنية المتوازية أو (النظم المتوازي): تكرار العناصر المترابطة بالترتيب نفسه: على شكل (أ ب/ أ' ب') ولهذا النظم أنواع، هي: التوازي الترادفي، والتوازي التضادّي؛ والتوازي التوليفي أو التكاملي الذي يكون فيه العنصر الثاني مكملًا للأول.

وقد تكون العلاقة بين هذه العناصر هي: الترادف، أو التقابل، أو التضاد، أو الإثبات، والنفي، وقد تكون العناصر الثانية مكملة للأولى، من خلال علاقة شرح، أو بيان نتيجة، أو استثناء، أو شرط، أو يكون بينهما ارتباط سببي، أو تاريخي، وغير ذلك من أنواع العلاقة، وكذلك الأمر في العلاقة بين عناصر البنية المعكوسة والبنية المحورية[2]. ومن الأمثلة على البنية المتوازية أو النظم المتوازي، بنية سورة البيّنة، كما هو موضح في الجدول التالي يقول تعالى:

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٨.

(١) لَمْ يَكُنِ **الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ** مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ

(٢) رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٣) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ

.....

(٤) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ

(٥) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ **وَذَلِكَ** دِينُ الْقَيِّمَةِ

(٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ

(٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

.....

(٨) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ

تتألّف سورة البيّنة كما هو واضح، من مقطع مركب من جزأين متوازيين، يتألّف كلّ واحد منهما من قسمين اثنين. وتظهر عناصر التوازي في تكرار عبارة: {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} في بداية كلّ جزء وكلمة: {ذَلِكَ} في نهاية الجزأين، كما يتوازى وصف: {دِينُ الْقَيِّمَةِ} في الآية الخامسة مع وصف: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} في الآية قبل الأخيرة (الآية: ٧)[١].

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٦٥.

الشكل الثاني: البنية المعكوسة أو التركيب المرآتي (mirror composition):

البنية المعكوسة (وتسمى أيضًا: البنية المرآتية والنظم المعكوس) تتكوّن من أربعة عناصر، أو أكثر، مرتّبة في منحدرين متناظرين عكسيًّا على شكل: (أ ب / ب' أ')، ومن الأمثلة عليها الآية الرابعة من سورة المطففين، يقول تعالى:

(٤) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ

: أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ

:: (٥) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ

:: (٦) يَوْمَ

: يَقُومُ

– النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

إذ يتقابل عكسيًّا لفظ: {أُولَئِكَ} مع لفظ: {النَّاسُ}، ولفظ: {مَبْعُوثُونَ} مع لفظ {يَقُومُ}، بالإضافة إلى التوازي بين كلمة: {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} وكلمة: {يَوْمَ}[١].

ومن الأمثلة أيضًا على هذه البنية سورة يوسف[٢]: كما هو موضح في الرسم التالي:

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص١٠٤.

(٢) ميشيل كويبرس، نظرة جديدة في نظم القرآن، ص١١.

استهلال الآيات: ١-٣

ب رؤيا يوسف الآيات: ٤-٧

ج نزاع يوسف وإخوته الآيات: ٨-١٨

د رفع نسبي لشأن يوسفالآيات: ١٩-٢٢

هـ محاولة إغواء يوسف الآيات: ٢٣-٣٤

و يوسف في السجن يفسر الرؤيا ويدعو إلى التوحيد الآيات: ٣٥-٤٢

و' يوسف في السجن يفسر رؤيا الملك الآيات: ٤٣-٤٩

هـ' خاتمة إغواء المرأة ليوسف: ردّ الاعتبار ليوسف الآيات: ٥٠-٥٣

د' ترقية يوسف النهائية الآيات: ٥٤-٥٨

ج' نزاع يوسف وإخوته: حيلة يوسف على إخوته الآيات: ٥٩-٩٨

ب' إتمام رؤيا يوسف الآيات: ٩٩-١-١

خاتمة الآيات:١٠٢-١١١

الشكل الثالث: البنية المحورية (ring composition):

نقول: إنّ بنية النصّ محورية عندما نجد عنصرًا مركزيًّا بين منحدَرَي التركيب المرآتي على شكل: (أ ب ج/ ×/ ج' ب' أ'). ومن الممكن أن يكون هذا العنصر الذي يقع وسط البنية منتميًا إلى أيٍّ من مستويات التنظيم النصّي السابقة أو اللاحقة له[١].

وقد لاحظ كويبرس أن هذا الشكل هو الأكثر ورودًا في القرآن على المستويات النصيّة العليا، وهو غالبًا ما يأتي في شكل سؤال أو حكم أو شاهد أو مَثَل يدعو القارئ/ المستمع إلى التفكّر واتّخاذ موقفٍ ما، ولذلك فهو مفتاح التأويل لمجموع النصّ الذي يحتلّ مركزه[٢]. ومن الأمثلة على هذه البنية سورة قريش:

(١) – لِإِيلافِ قُرَيْشٍ
(٢) – إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
(٣) + فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ
(٤) = [أ] الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ
= وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْف

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص٢١٤.

تحتوي سورة قريش على ثلاثة أفرع مبنية بناءً محوريًّا[١]؛ في الفرع الأول تذكير لقريش بنعمة الله عليهم برحلة الشتاء والصيف، وفي الفرع الأخير تكميل لِمَا ورد في الأول، إذ يُذَكَّرون بنعمة الطعام والأمن، وفي الوسط يُدْعَون إلى عبادة الله؛ لأن شكر النعمة التي هم فيها يقتضي ذلك. وما يميز هذه الأشكال (أو البنى البلاغية) التي تقوم عليها البلاغة الساميّة -كما يقول كويبرس- أنها توجد في جميع المستويات المختلفة للنصّ بدءًا من الفرع حتى السلسلة[٢].

هذه الصور النظمية الثلاث هي ما تقدّمه البلاغة الساميّة لفهم بنية القرآن الكريم، ويرى كويبرس أنّ وصف الدارسين الغربيين لنظم القرآن بالتفكّك وعدم الانسجام يعود بالأساس إلى عدم فهم هذه الصور النظمية الثلاث التي لا تحكم بنية القرآن فقط، بل تحكم كذلك بنية النصوص الساميّة بشكلٍ عام.

إنّ نظرية الأشكال الثلاثة لبنية القرآن (أو صور النظم) هذه هي لُبّ الإضافة التي يقدّمها منهج البلاغة الساميّة لفهم بنية القرآن الكريم، فلو قال قائل: إنّ كلّ ما قام به ميشيل كويبرس هو وضع النصوص القرآنية في هذه القوالب الثلاثة لكان محقًّا في اعتقادي.

---

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥.

ثالثًا: ملاحظات حول الأسس المنهجية للبلاغة الساميّة:

على الرغم من وضوح معظم الأسس المنهجية التي يقوم عليها تطبيق كويبرس للبلاغة الساميّة على القرآن الكريم، فإن هناك ملاحظات على هذه الأسس، منها: التركيز على البنية المحورية على حساب البنى الأخرى، وعدم وضوح الحدود الفاصلة بين هذه البنى الثلاث المتشابهة، والتركيز على معيار واحد من معايير تحديد بنية النصّ القرآني المقترحة دون المعايير الأخرى، وهي ملاحظات نتوقف معها في النقاط التالية:

الملاحظة الأولى: التركيز على النظم المحوري:

رغم ذِكر كويبرس لصور النظم الثلاث: (المتوازية، والمحورية، والمعكوسة) وتشديده على أهميتها في فهم بنية القرآن الكريم، فقد لاحظنا أن تركيزه على النظم المحوري يفوق بكثير التركيز على النظم المتوازي والنظم المعكوس، بل إنه يصرّح بأن هذا النظم هو الذي يحكم بنية القرآن بصفة عامة، وهنا يمكن أن نتساءل: ألَا تشبه بنية النظم المحوري بنية البلاغة اليونانية التي يحمّلها كويبرس مسؤولية الإخفاق في فهم بنية القرآن الكريم؟ أليس قريبًا من بنية: (المقدمة، والعرض، والخاتمة)؟

الملاحظة الثانية: عدم وضع حدود فاصلة بين صور النظم الثلاث:

لم يبين لنا كويبرس ما الحدود الفاصلة بين صور وأشكال النظم الثلاثة؟ وما المعايير التي نستند إليها في القول أنّ بنية هذه الآية أو السورة، أو تلك، بنية محورية، أو متوازية، أو معكوسة، خصوصًا وأن مؤشرات التناظر التي نلجأ إليها في تحديد البنية كثيرًا ما توجد في جميع المستويات المكوّنة لهذه البنيات الثلاث، وهو ما يجعلها متداخلة جدًّا، فقد لاحظت أن بعض النصوص يمكن أن تكون قائمة على البنية المحورية والبنية المتوازية أو المعكوسة في نفس الوقت.

فهل نرجّح بنية على أخرى استنادًا إلى كثرة الدلائل النظمية، أم استنادًا إلى التقابل الموضوعي؟

أعتقد أنه لا مناص هنا من العودة إلى ما انتقده كويبرس نفسه، وهو تحديد موضوع النصّ المراد تحليله، وبحث أوجه العلاقة والارتباط بين أجزائه؛ فإذا كانت العلاقة هي التقابل بأيٍّ من أشكاله قلنا إن البنية متوازية، وإذا كان ثمة موضوع يعترض بين أجزاء النصّ المتقابل ويرتبط بهما معًا، قلنا إنها بنية محورية، وإذا كانت طريقة ترتيب النصّ هي اللفّ والنّشر المعكوس قلنا إنها بنية معكوسة.

الملاحظة الثالثة: التركيز على التشابه اللفظي والتكرار في تحديد بنية النصّ:

مع أنّ كويبرس يشدّد على أن تقسيم مستويات نصّ السورة ليس اعتباطيًّا، وإنما هو خاضع لعدد من المعايير أو دلائل النظم: (الصيغ النحوية، والصوتية، والشكلية) فقد لاحظنا أنه يركّز بشكلٍ مُلْفِت على التشابه اللفظي والتكرار في تحديد بنية النصوص القرآنية التي تناولها، بل يكاد يكون المعيار الأوحد للتقسيم عنده، وقد قاده ذلك إلى ترجيح أشكال من النظم على أشكال أخرى يمكن أن تكون -بحسب منهجه هو- أكثر ملاءمة من تلك التي اختارها، من ذلك على سبيل المثال، أنه اعتبر أن سورة البينة بمثابة مقطع مركب من جزأين متوازيين، يتألّف كلّ واحد منهما من قسمين اثنين، استنادًا إلى التشابه اللفظي بين عبارة: {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} في بداية كل جزء، وكلمة: {ذَلِكَ} في نهاية الجزأين، كما هو موضح في الجدول الآتي:

(١) لم يَكُنِ **الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِين** مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (٢) رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٣) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ..... (٤) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٥) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ **وَذَلِكَ** دِينُ الْقَيِّمَة
(٦) إِنَّ **الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ** فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ..... (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٨) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ **ذَلِكَ** لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ

ولكن اعتبار بنية هذه السورة متوازية يغفل التقابل بين ذمّ أهل الكتاب بالتفرّق؛ ووصف الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم خير البرية لأنهم لم يتفرقوا، مما يعطي للسورة صورة البناء المحوري؛ إذ يركِّز الجزء الأول على وصف حال: {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} قبل مجيء النبي، ويصف مركز السورة حالهم بعد ما جاءهم النبي ﷺ، ويصف الجزء الأخير عقوبتهم يوم القيامة إذ تفرقوا بعد مجيء النبوّة، وقد كانوا ينتظرونها.

أمّا ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيأتي استطرادًا، على عادة القرآن في المقابلة بين الكفار والمؤمنين، فالعرض الذي سيقت له السورة هو ذمّ الذين تفرّقوا من أهل الكتاب والمشركين وهو محور السورة؛ ولذلك فالأنسب أن نقول: إنها تأخذ شكل البنية المحورية على النحو الآتي:

أ		لَمْ يَكُنِ **الَّذِينَ كَفَرُوا** مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ **حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ** (١) رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)
	ب	وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا **جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ** (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)
أ'		إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)

وقد اعتمدتُ فيما ذهبتُ إليه من اختيار النّظم المحوري لبنية هذه السورة على مؤشرات ودلائل نظمية وموضوعية، وذلك أن الجزء الأول يتحدّث عن طلب الذين كفروا والمشركين للبيّنة: {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}، أمّا وسط السورة

فيؤكّد تحقّق ما كانوا يطلبون: {جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}، أمّا الجزء الأخير فيعرض جزاء الإعراض عن البيّنة: {نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا}، كما لاحظت أن الجزء الأول والأخير يرتبطان بعبارة: {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ}، ويرتبط الجزء الأول مع المحور بكلمة {البيّنة}، والجزء الثاني مع المحور بعبارة: {دِينُ الْقَيِّمَةِ} وعبارة: {لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}.

وبالإضافة إلى ذلك فقد اعتمدت أيضًا على أن محور السورة دائمًا ما يثير سؤالًا أو تعجبًا أو يطرح قضية -كما يقول كويبرس نفسه- وهي مسألة تكون أوضح لو قلنا إن بنية هذه السورة محورية؛ إذ لا يخفى في محورها التعجب والاستنكار لحال المشركين الذين كانوا يطلبون البيّنة فلما جاءتهم تفرقوا عنها.

ولعلّ سبب الاختلاف بيني وبين كويبرس في بنية هذه السورة، يعود إلى ما أشرت إليه في الملاحظة السابقة، من كون ميشيل كويبرس لم يضع حدودًا فاصلة بين بنيات النظم الثلاث: (المتوازية، والمحورية، والمعكوسة) تمكننا من الحسم عند الاختلاف.

رابعًا: مقارنة بين منهج البلاغة الساميّة ونظام القرآن عند الفراهي:

تتجلى أهمية المقارنة بين منهج البلاغة الساميّة عند كويبرس ومنهج نظام القرآن عند الفراهي، في كونها تكشف لنا مواطن الجِدة، ومواقع القصور في منهج البلاغة الساميّة من جهة، وتبطل من الأساس دعوى عجز الدراسات الإسلامية عن تقديم منهج متماسك في دراسة بنية القرآن الكريم، وهي الدعوى التي ما فتئ ميشيل كويبرس يردّدها ويؤكد عليها.

إنّ بين منهج دراسة نظام القرآن عند الفراهي ودراسة بنية القرآن من منظور البلاغة الساميّة عند كويبرس -تقاربًا كبيرًا لا يقتصر على المفهوم فحسب، وإنما يشمل الأسس النظرية والمنهجية، والنتائج المتوخاة من وراء دراسة نظام القرآن وبنيته، على أنني سأكتفي في هذا البحث -لضيق المقام- بالمقارنة بين نقاط التشابه في المعالم الأساسية لكِلا المنهجين، مستخدمًا المصطلحات التي استخدمها كويبرس، ومبينًا ما يقابلها في كلام الفراهي على النحو الآتي:

١. مفهوم البلاغة الساميّة ونظام القرآن عند الإمام الفراهي:

النظام لغة: جاء في كتاب العين: «النَّظْمُ: نَظْمُكَ خَرَزًا بَعْضَهُ إلى بعض في نِظامٍ واحد، وهو في كلّ شيء حتى قيل: ليس لأمرِه نظام، أي: لا تستقيم طريقته. والنِّظام: كُلُّ خَيْطٍ يُنْظَم به لُؤْلُؤٌ أو غيره فهو نظام، والجميع نُظُم... والانتِظامُ: الاتِّساقُ»[(١)].

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ج٨، ص١٦٦.

ويعرِّف الإمام عبد الحميد الفراهي (١٨٦٣-١٩٣٠م) نظام القرآن بأنه: دراسة ترتيب القرآن وتناسب تركيب أجزائه بعضها ببعض؛ وذلك لأن «معاني الأجزاء لا يطلع على المراد منها إلّا بعد الاطلاع على جهتها التأليفية»[١]، ويؤكّد الفراهي على أن فهم الكلام متوقّف على فهم صورته التركيبية الكلية، فإذا كان تركيب الكلمة بالكلمة يفيد معنى، فإنّ تركيب الجملة بالجملة يفيد معنى أشمل، وتركيب مجموعة من الجمل أو الوحدات النصية يتضمن تأليفًا آخر يفيد دلالة أعمق من دلالة أجزاء التأليف منفردة؛ ذلك أن «الكلام إنما هو بنظامه فإنه يحسن أو يبلغ أقصى البلاغة لا بمحض أجزائه، بل بنظمه وترتيبه على ما ينبغي»[٢]، ويعدّ الفراهي «النظام فنًّا مستقلًّا من البلاغة، بل هو الذروة العليا منها»[٣].

كما هو واضح فإنّ مفهوم البلاغة الساميّة عند كويبرس ومفهوم نظام القرآن عند الفراهي متطابقان، حيث يبحث فيهما تركيب الخطاب وتأليفه.

(١) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الثانية، ط٢ (الهند: الدائرة الحميدية)، ص١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٩.

(٣) المرجع السابق، ص١١.

٢. خصائص نظم القرآن الكريم بين الفراهي وكويبرس:

يذهب كويبرس إلى أنّ من أبرز خصائص بنية القرآن الجوهرية أنه قائم على مبادئ، هي: الثنائية، والتجاور، والتناظر. وهذه الخصائص كلّها قد ذكرها الفراهي وإن كان قد سمّاها بأسماء مختلفة.

فالثنائية عند الفراهي تعني (المقابلة)، وهي من خصائص نظم القرآن، والغرض منها: «الاستشهاد على النظام بالنظائر»، والاستدلال بالضدّ؛ فإن الضدين يدلّ أحدهما على الآخر بنسبة التضاد[١]. وقد ذهب أمين أحسن الإصلاحي -تلميذ الفراهي- إلى أن معظم السور القرآنية إن لم تكن كلّها تقوم على العلاقة الثنائية المزدوجة بحيث تَرِد السورة الثانية مفصلة للأولى، أو متمّمة لها، أو مؤكدة، أو بمثابة المقدمة، أو النتيجة، أو متضادة معها[٢].

أمّا التجاور فيسميه الفراهي: (القِران والوصل)، وهو عنده: «مجيء كلمتين أو قولين متّصلين، سواء كان بالعطف أو بغير العطف»[٣]، ويؤتى به لأغراض،

(١) عبد الحميد الفراهي، أساليب القرآن، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، (الهند: الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح)، ص٢٠٠.

(٢) الحافظ افتخار أحمد، الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ومنهجه في تفسيره (تدبر قرآن)، رسالة دكتوراه منشورة على الإنترنت، ص٣٠٣.

(٣) عبد الحميد الفراهي، أساليب القرآن، ص٥٩.

منها: اشتراك القرينين في معنى كلي، وكون أحد القرينين توضيحًا للآخر، كما يأتي القِران والوصل لكشف أمرين متقابلين[١].

٣. صور النظم بين الفراهي وكويبرس:

تعتبر دراسة صور النظم الثلاث التي تؤلف بنية السورة القرآنية لُبّ الإضافة التي يقدمها منهج البلاغة الساميّة في دراسة نظم القرآن الكريم.

وهذه الأشكال الثلاثة أو الصور النظمية قد تطرّق إليها الفراهي ونبّه عليها في كتابه (دلائل النظام) وغيره، كما سوف نبيِّن على النحو الآتي:

النّظم المتوازي عند الفراهي:

يطلق الفراهي على البنية المتوازية عند كويبرس مصطلح (اللفّ والنشر)، ويرى أنّ الترتيب في كلام العرب قائم على هذه القاعدة، حيث يقول: إن «الترتيب في كلام العرب هكذا، فإذا كان لفّ ونشر فهم يعودون من الأطراف إلى الأول بالتدريج، وهكذا في غير اللفّ والنشر إذا اجتمع سيران، وترى ذلك في منطقهم، فأوله الشكل وهو أسهله على هذا الترتيب، وترى ذلك في قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} فبدأ بما هو أقرب وأمامهم، {وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} فارتفع النظر، ثم عاد من السماء نزولًا فقال:

(١) عبد الحميد الفراهي، أساليب القرآن، ص٥٩.

{وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} فنزل بالترتيب والتدريج كما ارتفع»[1].

وسوف نقوم بإعادة كتابة هذه الآيات بنفس الطريقة التي يعتمدها كويبرس حتى تتضح بنيتها، يقول تعالى:

(١٧) أ- أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

(١٨) ب = وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

(١٩) أ' - وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ

(٢٠) ب' = وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ

فكما نلاحظ، فإنّ هذه الآيات تنتظم على شكل: (أ ب / أ' ب)، وهذه هي قاعدة البنية المتوازية عند كويبرس.

ومن الأمثلة على البنية المتوازية أو بنية اللف والنشر عند الفراهي الآية (٤٨) من سورة البقرة. ولمزيد من التوضيح فإننا سوف نقوم بعرض هذه الآية بالطريقة التي يعتمدها كويبرس في إعادة كتابة النصوص القرآنية، يقول تعالى:

(١) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ص٩٧.

(٤٨) أ- وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا

ب= وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ

أ' - وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ

ب' = وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ

يعلّق الفراهي على نظم هذه الآية قائلًا: إنه ذكر فيها أربعة أمور «وجعل الاثنين الأولين بإزاء الاثنين الآخرين على ترتيب اللف والنشر، وذلك لأن جزاء نفس عن نفس من نوع الفدية، والشفاعة من نوع النصر»[(١)].

النظم المعكوس عند الفراهي:

يقول الفراهي: إن «من عادة العرب وفطرة البلاغة أن ينجر الكلام من أمر إلى أمر، ومنه إلى أمر آخر، ثم يعود إلى الأول أو إلى الوسط، حتى يعود إلى الأول أو إلى ما يتصل به، وإذا كان المخاطب عالمًا بأسباب الكلام لم يشكل عليه نظمه»[(٢)].

(١) عبد الحميد الفراهي، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط١ (تونس: دار الغرب الإسلامي ٢٠١٢م)، ج١، ص٣٢٤.

(٢) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، من رسائل الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ص٦٧.

ونلاحظ هنا أن الفراهي قد ذكر في هذه القاعدة نوعين من النظم، هما: النظم المتوازي، والنظم المعكوس. **فالنظم المتوازي**: هو المقصود بقوله: أن ينجر الكلام فيها من أمر إلى أمر ومنه إلى أمر آخر ثم يعود إلى الأول (أي: بنفس الترتيب)، وهذه هي عينها قاعدة البنية المتوازية عند كويبرس التي تأتي على شكل: (أ ب ج/ أ' ب' ج').

أما النظم المعكوس: فهو المقصود بالجزء الثاني من القاعدة التي يذكرها الفراهي، أي: عندما ينجر الكلام من أمر إلى أمر ومنه إلى أمر آخر ثم يعود إلى الوسط حتى يعود إلى الأول، وهذه هي نفسها قاعدة البنية المعكوسة عند كويبرس التي تأتي على شكل: (أ ب ج/ ج' ب' أ').

النظم المحوري عند الفراهي:

تطرّق الفراهي كذلك إلى النظم المحوري، بل إنه اعتبر أن الانتباه لهذا النظم من نعم الله عليه، يقول الفراهي: «إني رأيت في كتاب الله -والحمد لله على ما أراني- أن **الكلام يجري من أمر إلى أمر**، وكلّه جدير بأن يكون مقصدًا، فيشفي الصدور ويجلو القلوب، **ثم يعود إلى البدء فيصير كالحلقة**»[(١)].

(١) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ص٦٦.

وعود الكلام إلى بدئه حتى يصير كالحلَقة هو نفسه النظم الحلَقي، أو البنية المحورية عند كويبرس، ويطلق الفراهي على هذا النوع من النظم مصطلحين؛ هما مصطلح: (العود على البدء)[1]، ومصطلح: (الاعتراض)[2]، ومن الأمثلة على العود على البدء عند الفراهي سورة الممتحنة[3]، وقد وضعناها في الجدول أدناه حتى يتضح نظمها:

أ		النهي عن الولاء لأعداء الله المقاتلين.....١-٦
	ب	القسط مع غير المقاتلين..... ٧-٩
	ب'	'امتحان المهاجرات.....١٠-١٢
أ'		النهي عن الولاء لأعداء الله المقاتلين..... ١٣

ومن الأمثلة على البنية المحورية عند الفراهي كذلك الآيات (٢٥-٢٧ من سورة البقرة)، حيث تقع في موقع «اعتراض» بين الآيات من (٢١-٢٤) التي

(١) عبد الحميد الفراهي، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط١ (تونس: دار الغرب الإسلامي ٢٠١٢م)، ج١، ص١٠٤.

(٢) ضرب الفراهي أمثلة عديدة لبنية الاعتراض، التي هي في واقع الأمر البنية المحورية عند كويبرس، انظر: عبد الحميد الفراهي، أساليب القرآن، ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ص١٨٢، ١٨٣.

(٣) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ص٦٦.

جاءت قبلها والآيات من (٢٨-٢٩) التي أتت بعدها على هيئة بنية النظم المحوري: (أ' / x/ أ')، وحتى تتضح بنية هذا المقطع سنقوم بوضعه في الجدول التالي، يقول تعالى:

أ	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)
ب	وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)
أ'	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

يعلّق الفراهي على بنية هذه الآيات قائلًا: «هذه الجملة (يقصد الآيات: ٢٥-٢٧) بتمامها معترضة، وُضعت بين الخطابين إلى الناس على سبيل الالتفات إلى المؤمنين بحسب المعنى، والالتفات حسنه الدلالة على أمر مهم... ثم عاد الخطاب إلى البدء بعد إيراد الجملة المعترضة، فكأنه قيل: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ولا تشركوا به وكيف تكفرون به وهو الذي أحياكم وإليه رجوعكم»[١].

بل إنّ الفراهي قد ذهب أبعد من كويبرس فرأى أن القرآن كلّه يقوم على البنية المحورية حيث يقول: «القرآن إذا رأيته وجدته يبتدئ بحمد الله تعالى، ثم تراه يكشف عن أصول الإسلام ظاهرًا وباطنًا، حتى ينتهي إلى كمال الفتح والنصرة وإهلاك المخالفين، وإتمام فرض النبوّة، وجعل سورة التوحيد آخر العهد بالله تعالى، ثم ترى بعد تكميل هذه المدينة الإلهية وسورها حارسين أو سورتين أو سيفين أو صارمًا ذا شفرتين، وذلك سورتا المعوذتين، كأن القرآن جنة عدن يحرسها كروبيان بسيفين لامعين»[٢].

(١) عبد الحميد الفراهي، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط١ (تونس: دار الغرب الإسلامي ٢٠١٢م)، ج١، ص٢٤٨-٢٥٤.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص١٠٤.

٤ . التدرج في تحليل المستويات النصيّة للسورة:

يشدّد كويبرس على أن أهم ميزة تميّز منهجه هي: التدرج العملي في تحليل مستويات نصّ السورة من المفردة إلى أن تكتمل بنية السورة، استنادًا إلى دلائل (أو مؤشرات) النظم الموجودة في السورة نفسها، وذلك حتى لا يبقى تقسيم السورة مجالًا لتضارب الآراء واختلاف وجهات النظر، عندما لا تكون هنالك معايير واضحة في التقسيم.

وقد أخذ كويبرس على مناهج تحليل بنية القرآن (القديمة والحديثة) أن أصحابها لم يتدرجوا في تحليل بنية القرآن، ولم يتبعوا المؤشرات النظمية التي توجد في النصّ القرآني نفسه، أثناء تقسيمهم لوحدات السورة القرآنية، وشدّد على أن تحليل السورة القرآنية ينبغي أن يبدأ بالتدرج من المستويات النصيّة الدنيا، وصولًا إلى المستويات النصيّة العليا مع الاعتماد على المؤشرات النصية التي تدلّ على تحديد مستويات السورة القرآنية كما قدّمنا.

وإذا انتقلنا إلى الفراهي، نجد أنه يعتبر أن هاتين الخطوتين لا تتعارضان، بل تكمل إحداهما الأخرى؛ ولذلك يرى الفراهي أن تقسيم السورة ينبغي أن يمر بخطوتين:

الأولى: التقسيم الموضوعي للسورة: وهذه الخطوة عنده سابقة على بيان الارتباط بين الآيات وعلاقة بعضها ببعض، على سبيل المثال: قسم الفراهي

سورة آل عمران إلى قسمين : «النصف الأول في إثبات الطاعة لله وإبطال ضلال أهل الكتاب لا سيما النصاري، والنصف الثاني: في تنبيه المسلمين على تضليل أهل الكتاب، وجمع شملهم بالاعتصام بحبل الله، وتنبيههم على الطاعة، وحثهم على الجهاد، وتبشيرهم بالغلبة، وتحذيرهم من التفرّق عند المصائب والشدائد، لكي يتم إسلامهم، ويطيعوا الله في اليسر والعسر، فلا يكونوا كأمة موسى عليه السلام خالفوا أمر نبيهم فتاهوا أربعين سنة، فكأنّ النصف الأول تمهيد والنصف الثاني مقصود»[(١)].

الثانية: التدرج في تحليل النصّ: بحيث يقوم المفسّر بالنظر في السورة آية آية، ومقطعًا مقطعًا، بالتدرّج إلى أن يصل إلى السورة كلّها، ويتبيّن له رباط معانيها بالتفصيل، يقول الفراهي: «وأمّا بيان رباط معاني السورة بالتفصيل فلا يمكن إلّا بعد النظر فيها آية آية، ونأخذ عدّة آيات جملة جملة، لا لأن هذه الجملات منقطعة بعضها عن بعض، بل ليسهل النظر فيها، وليستريح الناظر إذا فرغ من جملة؛ ولذلك وضعناها في فصول على حدة»[(٢)].

(١) عبد الحميد الفراهي، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط١ (تونس: دار الغرب الإسلامي ٢٠١٢م)، ج١، ص٣٣٢.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٣٣٢.

وكما يقسم كويبرس مستويات التحليل النصّي إلى مستويين: مستويات دنيا، ومستويات عليا. نجد لدى الفراهي تقسيمًا مشابهًا، حيث يقسم مستويات النصّ القرآني إلى «الأجزاء الإجمالية؛ وهي: (العمود، والتمهيد، والمنهج، والخاتمة)، والأجزاء التفصيلية؛ مثل: (التعليل، التفريع، التأصيل، التمثيل، إيراد المشابه والمقابل والضدّ...إلخ»[(١)].

أمّا ما يسميه كويبرس (الاعتماد على المؤشرات النصيّة) فهو جوهر كتاب الفراهي: **دلائل النظام**، الذي يقول إنه عمل فيه على تبيان نقطتين رئيستين؛ الأولى: «ما يدلّ على وجود النظام في القرآن ويُثبته»، والثانية: «ما يهديك إلى معرفته وطريقة استنباطه»[(٢)].

في الموضوع الأول بيَّن الفراهي أن «القرآن قد دلّ على كونه منظمًا لا عوج فيه ولا قصور؛ من وجوه عدة»، الأول: «أن الآية الواحدة تجمع أمورًا، وربما تتضمن جملًا، ولا يسوغ لمسلم أن يظن أن الآية الواحدة غير منظمة»، والثاني: «أن الربط الذي وجد في موضع تجده في عدة مواضع»، والثالث: «ذكر الأمور الظاهر المناسبة في موضع، ثم ذكر بعض هذه المناسبات، وترك البعض»[(٣)].

---

(١) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ص٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢١.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠-٤١.

وفي الموضوع الثاني، تطرّق الفراهي إلى دلائل أو مؤشرات النظام، فذكر منها: رعاية الفواصل، وترجيع بعض الكلمات، كما في الرحمن والمرسلات، وذكر القصص، وزيادة الجزء بالتام، وإدخال الجملة المعترضة، والاستدلال بالمشابه والضد، وتبديل الأسلوب، وحذف بعض الأجزاء لدلالة الباقي عليها، ومعرفة مطالب السور ومعالمها، وغير ذلك من المعايير الشكلية والموضوعية التي تسهم في الكشف عن نظام القرآن الكريم[١].

إنّ ما نود الوصول إليه -من خلال هذه المقارنة السريعة لأوجه التشابه بين منهج البلاغة الساميّة ومنهج الفراهي في دراسة نظام القرآن الكريم- أن ميشيل كويبرس قد تسرّع في إطلاق دعوى عجزِ التراث الإسلامي عن تقديم منهج متماسك في دراسة نظم القرآن الكريم، قبل القيام بدراسةٍ حقيقية لتراث المسلمين في مجال دراسة النظم القرآني، وأنه لا أساس من الصحة لزعمه خلوّ الدراسات القرآنية في العالم الإسلامي من منهج في دراسة نظم القرآن الكريم، ذلك أن الإمام الفراهي أسّس منهجًا متكامل الأركان في دراسة نظام القرآن لا يختلف عن منهج البلاغة الساميّة عند كويبرس سوى في بعض الجزئيات، بل إنّ

(١) راجع: عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ط٣ (الهند: الدائرة الحميدية ١٩٩١).

الفراهي قدّم أسسًا منهجية في دراسة نظام القرآن لم يتطرق لها منهج البلاغة الساميّة.

ومع ذلك فإن المقارنة بين هذين المنهجين تثبت تكاملهما وأهمية الاستفادة من الملاقحة بينهما في الدرس القرآني المعاصر.

المبحث الثالث: أهمية منهج البلاغة الساميّة والمآخذ النقدية عليه:

استعرضنا في المبحث السابق الأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها مقاربة بنية القرآن من منظور البلاغة الساميّة عند ميشيل كويبرس؛ لذلك نخصّص هذا المبحث لسؤال الثمرة المتوخّاة من وراء تطبيق هذا المنهج في الدرس القرآني المعاصر، والمآخذ التقييمية، التي من شأنها أن تسهم في تبيئة هذا المنهج في الدراسات الإسلامية القرآنية المعاصرة، في النقاط التالية:

أولًا: أهمية منهج البلاغة الساميّة في الدرس القرآني المعاصر:

تتجلى أهمية منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم في جملة أمور؛ من أهمها: ترسيخ وحدة السورة القرآنية، والترجيح بين الأقوال التفسيرية استنادًا إلى السياق، وتصحيح بعض الفرضيات الاستشراقية الخاطئة حول بنية القرآن الكريم، وسنعرض لهذه المسائل بشيء من التفصيل في النقاط التالية:

أولًا: يُسْهِم تطبيق منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم في ترسيخ وحدة السورة القرآنية، وسدّ ثغرة عانى منها (منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)[(١)]، وهي أن المهتمين به لم يضعوا معايير واضحة لتقسيم سور القرآن الكريم، وقد نشأ عن ذلك اختلاف بينهم في تجزئة السورة القرآنية

(١) للتعرف على مفهوم منهج التفسير الموضوعي وإشكالياته، انظر: سامر رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؛ دراسة نقدية، ط١ (حلب: دار الملتقى ٢٠٠٩).

وتحديد موضوعاتها، ومن شأن اعتماد معايير تقسيم السورة الموضوعية والشكلية التي يقدّمها هذا المنهج أن تجعل التقسيم الموضوعي للسورة أقرب إلى الدّقة، وأبعد من التحيّز الشخصي في اختيار تقسيم معيّن لسورةٍ ما من سور القرآن الكريم.

ثانيًا: يسهم التركيز الدقيق على السياق الذي يقدّمه هذا المنهج في الترجيح بين أقوال المفسرين؛ وذلك لأن من أهم الأسباب التي ينشأ بسببها الخلاف بين المفسّرين عدم مراعاة السياق النصّي القريب للآيات، وسنضرب لذلك مثلًا بما توصّل إليه كويبرس في مسألة النسخ في القرآن الكريم، على أننا لن نناقش موقف كويبرس من هذه المسألة في هذا البحث لضيق المقام.

فمن المعلوم أن كثيرًا من المفسّرين وعلماء المسلمين يذهبون إلى أن القرآن ينسخ بعضه بعضًا، ويستدلّون على ذلك بقوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[البقرة: ١٠٦]، أمّا ميشيل كويبرس فيقول إنه توصّل من خلال تطبيق قواعد البلاغة الساميّة إلى أن النسخ المقصود في هذه الآية هو نسخ القرآن للتوراة، وليس النسخ كما أُنشِئ من طرف الفقهاء المسلمين[(١)]. ويشرح كويبرس الدليل البلاغي الذي يستند إليه من خلال تحليله للسياق النصّي الذي وردت فيه آية النسخ، حسب النموذج الآتي، يقول تعالى:

(١) انظر: ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢٠٩.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)
مَا يَوَدُّ **الَّذِينَ كَفَرُوا** مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ
وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)
مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا
نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا
أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)

يحلل كويبرس هذه الآيات فيقول: «يبتدئ الجزآن بمقابلةٍ بين {الَّذِينَ آمَنُوا} و{الَّذِينَ كَفَرُوا}. وتعدُّ عبارة: {لِلْكَافِرِينَ} وعبارة: {الَّذِينَ كَفَرُوا} **(عناصر وصلية)** بين الجزأين؛ ذلك أن ما يغضب {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} هو أن ينزل على المؤمنين من غير اليهود كتابٌ فضلًا من الله، وذلك لأن اليهود يعتبرون أن الله فضّلهم وحدهم دون العالمين، وبالإضافة إلى هذه المناسبات فإنّ القرآن يدعو إلى تصحيح دعاء اليهود: {لَا تَقُولُوا رَاعِنَا}، وهو دعاء يحمل فكرة الاصطفاء الخاصّ»[(١)].

(١) انظر: ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢٠٩.

واستنادًا إلى الدلائل النظمية الحافّة بهذه الآية، يرجح كويبرس أنه لا علاقة لها بمفهوم النسخ المعروف عند علماء المسلمين، فهي ردٌّ على اليهود الذين اعترضوا على النبيّ بسبب مخالفة ما ورَد في القرآن لِمَا ورَد في التوراة، وهنا يبين لهم القرآن إرادة الله المطلقة في نسخ وحيٍ سابق بوحيٍ لاحق؛ ولذلك فالآية تتعلق حصرًا بنسخ القرآن للتوراة لا بنسخ القرآن للقرآن[١].

ثالثًا: تصحيح الفرضية الخاطئة في الدراسات الاستشراقية، التي تقول إن النصّ القرآني مفكّك الأسلوب لا يخضع لتسلسل منطقي؛ ولذلك فلا بدّ من تغيير ترتيب الآيات والسور القرآنية، حتى يبدو النصّ القرآني -بزعم أصحاب هذه الفرضية- أكثر انسجامًا وأقوى تماسكًا.

ومِن أبرزِ القائلين بأن النصّ القرآني لا يقوم على تسلسل منطقي ولا بدّ من ترتيبه ترتيبًا منطقيًّا رائدُ مدرسة الاستشراق في الدراسات القرآنية (تيودر نولدكه) الذي أعاد ترتيب سور القرآن الكريم على أربع مراحل، هي: المرحلة المكية الأولى، والثانية، والأخيرة، ثم المرحلة المدنية، باعتماد معايير؛ منها طريقة الأسلوب ومحتويات السورة[٢].

---

(١) انظر: ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢٠٩. وانظر أيضًا: ميشيل كويبرس، البلاغة الساميّة في القرآن، ترجمة: خليل محمود اليماني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص٢٨، على الرابط: https://tafsir.net/translation/45/

(٢) رضوان عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع)، ص٤٩٧.

كما قام ريتشارد بيل بترجمة للقرآن سمّاها: «ترجمة مع إعادة ترتيب نقدي للسور». ونفس الأمر قام به ريجس بلاشير، بل إنّ محاولة إعادة ترتيب القرآن تعود إلى حقبة مبكّرة في حقل الاستشراق، فقد قام جي إم روديل عام ١٨٦٧م، بترجمة للقرآن أعاد فيها ترتيب سور القرآن وفقًا للترتيب التاريخي[١].

وقد علق بلاشير على ما قام به نولدكه في كتابه: (تاريخ القرآن) من إعادة لترتيب القرآن وفق مراحل الدعوة، قائلًا: «ويتوصل القارئ الغربي إذ ذاك (عندما يعاد ترتيب القرآن) بمنطق لا تكلُّف فيه إلى الاقتناع بأن الحياة قد أُعيدت للمصحف، فما عاد يظهر على شكل متتابع وغير منتظم للنصوص، بل على شكل سلسلة من الموضوعات، عالجها محمد خلال عشرين سنة وفقًا لمقتضيات دعوته»[٢].

أمّا ميشيل كويبرس الذي يدرس بنية القرآن من منظور البلاغة الساميّة فإنه ينتقد محاولات إعادة ترتيب القرآن التي قام بها أقطاب مدرسة النقد التاريخي، مؤكدًا أنّ ما دعاهم للقيام بهذه المحاولات هو أنهم يفرضون على القرآن بلاغة

(١) عبد الراضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن؟ (دولة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ٢٠١٦)، ص٣٣.

(٢) ريجس بلاشير: القرآن؛ نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، (بيروت: دار الكتاب اللبناني ط١- ١٩٧٤)، ص٢٣-٤٤.

ليست هي البلاغة التي نزل بها، فالقرآن الكريم ينتهج أساليب في التعبير وطرائق في التركيب لا تتماشى مع منهجية البلاغة اليونانية التي ورثها الدارسون الغربيون؛ ولذلك يحذّر كويبرس من التسرع في اتهام لغة القرآن، ويرى أن ما يثيره أسلوب القرآن من الإشكال يرجع أساسًا إلى سوء فهم المتلقي، وانتهاجه في فهمه منهجية لا تلائم لغته التي نزل بها، فعلى سبيل المثال: فإن ما يعيبه تيودر نولدكه ويجعله دليلًا على القول بضعف أسلوب القرآن، من الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر، ثم العودة مرة أخرى إلى نفس الموضوع، هو أسلوب من أساليب البلاغة الساميّة التي نزل بها القرآن[1].

ويضرب كويبرس مثلًا على سوء فهم أصحاب محاولات إعادة ترتيب القرآن الكريم لبنية القرآن، بما قام به ريتشارد بيل من تفكيك سورة الغاشية إلى عدّة أقسام، أراد أن يثبت من خلالها أن هذه السورة لا تتّسم بالوحدة، وأن فيها انقطاعات في المعنى، مدّعيًا أن بعض آياتها قد تمّت إضافته في فترة متأخرة، وهذه الأقسام هي:

- من الآية (١-١٠) وصف لمصير الأشرار والصالحين.
- من الآية (١٧-٢٩) مظاهر قدرة الله في الطبيعة، وهذه الآيات بحسب اعتقاد ريتشارد بيل إضافة متأخرة؛ لأنها لا ترتبط بالسياق.

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، مصدر سابق، ص٥.

- من الآية (٢١-٢٦) وصف لمهمة النبي.

أمّا الآيات من (١١-١٦) والآيات من (٢٥-٢٦) فهي عنده إضافات متأخرة[١].

يردّ ميشيل كويبرس ما ذهب إليه ريتشارد بيل، ويؤكّد أنّ هذه السورة محكمة البناء، وأنّ ما دعا ريتشارد بيل إلى تفكيكها أنه لم يقرأها من منظور البلاغة الساميّة، التي تختلف عن منطق البلاغة اليونانية المسيطر على تفكيره، ويقدّم كويبرس من خلال هذا المنهج أدلة بلاغية على أن سورة الغاشية محكمة البناء، وأن الآيات من (١٧-٢٩) التي يزعم ريتشارد بيل إضافتها المتأخرة، هي الجزء المركزي لهذه السورة؛ ذلك أن الجزء المركزي أو وسط البنية في البلاغة الساميّة دائمًا ما يتأتى في شكل سؤال، ففي هذه الآيات دعوة للقارئ للتفكّر؛ والدعوة إلى النظر في مخلوقات الله جاءت في مركز هذه السورة لسببين: **السبب الأول**: التأسيس ليوم الحساب، فمَن خلق كلّ شيء قادر أيضًا على إعادة خلقه يوم القيامة، ومجازاة كلّ مخلوق بما يستحقّ، وهذه هي العلاقة المنطقية وإن لم يصرح بها. **والسبب الثاني**: هو الاستدلال على أن الوحي حقّ، فالذي يخاطب الإنسان هو الذي خلق كلّ شيء فلا يمكن لوحيه إلّا أن يكون حقًّا، فكما هو واضح فإنّ للجزء المركزي علاقة بالجزأين الأول والأخير من هذه

(١) انظر: ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٣٠.

السورة[1]. وبالتالي فإن هذه السورة تأتي على شكل البنية المحورية كما في الجدول التالي، يقول تعالى:

أ	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ **الْغَاشِيَةِ** (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)	
	ب	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)
أ'	فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا **إِيَابَهُمْ** (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا **حِسَابَهُمْ** (٢٦)	

وبالإضافة إلى ذلك يلجأ كويبرس إلى الاستدلال بتشابه أطراف هذه السورة على إحكامها ووحدة بنيتها؛ فكلمة **الغاشية** في بداية السورة وكلمة **إيابهم** و**حسابهم**، تعود إلى نفس الحقل الدلالي، كما أن الآيات (٢١-٢٦) تذكر سبب المصير الذي آل إليه أهل النار؛ لأنهم أعرضوا وتولوا عن الهدى ولم يؤمنوا به، فهناك علاقة سببية غير مصرح بها[2].

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠.

ثانيًا: الملاحظات النقدية على منهج البلاغة الساميّة:

تكمن قيمة منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم، في كونه يوضح أنها تنحصر في ثلاثة أشكال من البنى هي: البنية المتوازية، والبنية المحورية، والبنية المعكوسة، وفي شرح الخطوات الإجرائية التي تكشف عن هذه البنيات. وقد نجح ميشيل كويبرس -المنظِّر الرئيس لهذا المنهج- في تقديم تطبيقات ضافية من الآيات والسور القرآنية، تبرز صلاحية هذا المنهج للتطبيق على القرآن الكريم، وقابليته للاستثمار في فهمه، وفي تصحيح الفرضية الخاطئة في الدراسات الاستشراقية، من وصف القرآن بكونه مفكّك الأسلوب ولا يتّسم بالوحدة والانسجام.

ورغم أهمية هذا المنهج كرافد معرفي ينهض بالدرس القرآني المعاصر، إلّا أنّ ثمة بعض الملاحظات التي يمكن أخذها عليه، منها: ملاحظات تتعلق بالأسس النظرية لهذا المنهج، وأخرى تتعلق بالنتائج التي تم بناؤها على هذا المنهج.

أ) ملاحظات تتعلق بالأسس النظرية لمنهج البلاغة الساميّة:

رغم وضوح ووجاهة معظم الأسس النظرية والمنهجية التي أسّس عليها كويبرس تطبيق البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم، فإن بعض هذه الأسس لا يستقيم إذا وُضع في كفّة النقد والتمحيص.

فقد لاحظنا على سبيل المثال أنه يبالغ كثيرًا في زعم تفكّك القرآن الكريم، وفي افتقار الدراسات القرآنية إلى مناهج الدراسات الكتابية لسدِّ العجز المنهجي الذي تعاني منه، علاوة على المبالغة في تأثير البلاغة اليونانية على فهم القرآن الكريم، وتجاهل دراسات بنية القرآن في العالم الإسلامي، وهذا ما سوف نناقشه في النقاط التالية:

١. المبالغة في دعوى تفكّك القرآن وعدم انسجام بنيته.

يزعم ميشيل كويبرس أن استشكال بنية القرآن وترتيبه وما نتج عن ذلك من صعوبة في فهمه أمرٌ مجمَعٌ عليه بين الدارسين القدامى والمحدثين، وأن هذا الأمر هو ما جعل العلماء المسلمين يدافعون عن انسجام بنية القرآن في الدراسات القرآنية القديمة دفاعًا لم ينجح؛ بسبب غزو البلاغة اليونانية المبكّر للثقافة العربية، وما نتج عن ذلك من طمسٍ لمعالم البلاغة الساميّة التي ينبغي أن يدرس من خلالها القرآن الكريم[(١)].

وهذه دعوى مبالغ فيها ولا تستند إلى معرفة حقيقية بالتراث الإسلامي في هذه المسألة، فنحن نعلم أن علماء المسلمين، وإن كانوا قد بحثوا منذ وقت مبكّر (مشكل النظم القرآني)، وأوردوا عددًا من الانتقادات الموجّهة إلى بنية

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٥. وفي نظم سورة المائدة، ص٤٧٨.

القرآن وتصدوا للردّ عليها في كتب الإعجاز وعلم المناسبة، فإنهم على خلاف ما يوحي به كلام كويبرس، لم يجعلوا الأمر عامًّا في جميع سور القرآن وآياته، وما قال أحد منهم أن بنية القرآن كلّها مشكلة، ولم يتّجهوا في بحثهم عن توجيه مشكل النظم القرآني سوى إلى الآيات التي رأوا أن فهم ارتباطها بما قبلها وما بعدها غير بادٍ لأول وهلة، أو هو محلّ إشكال.

وهذه المسألة قد أكد عليها الإمام الفراهي عندما قال: «لا يخفى أن كثيرًا من القرآن ظاهر النظم، وإنما يخفى الوصل في مواضع معدودة، حيث ترى الكلام كأنه أخذ سمتًا آخر، فهناك عقد واتصال، وهي معاطف الكلام، وهي أكبر ما يهم من يلتمس النّظم، فلا بد من تعيينها والوقوف عليها والتأمّل التام فيها»[(١)].

وقد يكون السبب في مبالغة كويبرس في تفكّك القرآن الكريم راجع إلى القياس الخاطئ لنصّ القرآن على نصوص الكتاب المقدّس، خصوصًا وأن كويبرس لا يفتأ يكرّر أن ما قام به هو نقل مقاربة النصوص الكتابية إلى القرآن الكريم، وأن كثيرًا من الباحثين الغربيين لا يعترفون بالفروق الجوهرية بين القرآن وبين الكتب المقدسة، في الجمع والتدوين، واللغة، والبناء النصي.

(١) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ضمن رسائل الإمام عبد الحميد الفراهي، المجموعة الأولى، (الهند: الدائرة الحميدية ١٩٩١)، ص٩٢.

٢. عدم مواكبة تطوّر دراسات نظم القرآن في العالم الإسلامي:

مع أن ميشيل كويبرس يتكلّم بإطلاق عندما ينتقد دراسات نظم القرآن القديمة والحديثة؛ فإنه على ما يبدو غير مطّلع بما فيه الكفاية على التطوّر الذي وصلَت إليه هذه الدراسات في العالم الإسلامي، والدليل على ذلك أننا لا نجد لديه ذِكرًا لمنهج التفسير البياني، ومنهج نظام القرآن عند الفراهي، ولا لدراسات محمد عبد الله دراز[١]، وغيره من العلماء الذين درسوا بنية القرآن في القرن العشرين.

وحتى تلك المصادر الإسلامية التي ذكرها كويبرس يبدو أنه لم يقرأها، أو قامت قراءته لها على (منهج الانتقاء)، فقدّم منها ما يسمح له بالقول بالتفرّد بتقديم منهج جديد، وتجاهل الدراسات التي تتّفق مع منهجه في الأسس النظرية والإجرائية، فقد ذكر على سبيل المثال جهود الشيخ سعيد حوّى وأمين أحسن الإصلاحي، بينما تجاهل منهج الإمام عبد الحميد الفراهي في دراسة نظام القرآن[٢].

---

(١) قدّم محمد عبد الله دراز أفكارًا قيّمة في دراسة بنية القرآن في كتابيه: النبأ العظيم، (الكويت: دار القلم ١٩٥٧م)، ومدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (الكويت: دار القلم ١٩٨٤م).

(٢) من المهم التنبيه على أن ميشيل كويبرس قد ذكر الفراهي بواسطة مستنصر مير، وبيّن أن فكرة عمود السورة التي استند إليها إصلاحي تعود إلى أستاذه الفراهي، وبالتالي فقد يكون في تجاهله لنظريته في نظام القرآن ما يدعو إلى الاستغراب، انظر: ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص٥٠٥.

والواقع أن أغلب القواعد التي تقوم عليها دراسة بنية القرآن من منظور البلاغة الساميّة عند كويبرس قد سبق إليها الفراهي وبسط القول فيها، وبالأخصّ تلك القواعد التي تشكّل جوهر الإضافة التي تقدمها هذه البلاغة لفهم بنية القرآن الكريم، كما قدّمنا.

٣. الإصرار على ربط هذا المنهج بالدراسات الكتابية:

يصرّ ميشيل كويبرس على تسمية هذه المقاربة باسم منهج البلاغة الساميّة وعلى ربطها بالدراسات الكتابية، (وقد يكون هذا الإصرار وسيلة لسحب البساط من تحت اللغة العربية والقول أنّ الدارسين لها لم يستطيعوا فهم الصور التركيبية التي تقوم عليها بنية القرآن الكريم، بوحي من تأثير البلاغة اليونانية المبكّر على البلاغة العربية)، وأيًّا ما كان الأمر فإن هذه المسألة محلّ اعتراض لسببين:

السبب الأول: جهل اللغة الأصلية للكتاب المقدّس؛ ذلك أنه: «لم تَرِد في مجموع أسفار العهدين القديم والجديد أيّ إشارة إلى اللغة التي كُتبت بها هذه الأسفار، ولا إلى اللغة التي تحدّث بها أنبياء بني إسرائيل»[(١)]، وقد رجّح

(١) انظر: يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدّس؛ بين إشكالية التقنين والتقديس: دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي، ط١ (دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر)، ص١١٣.

سيجموند فرويد أن لغة التوراة هي لغة مصر الهيروغليفية، استنادًا إلى أن موسى عاشَ في القصر الفرعوني وتربّى في أحضان أهله أربعين عامًا، وذهب آخرون إلى أنها خليط من اللغة المصرية والكنعانية والآرامية والسريانية[١].

ثم إنّ أسفار العهد الجديد محرّرة باللغة الإغريقية، ويوجد بشكلٍ عامّ عدم اطمئنان إلى الترجمات المختلفة التي عرفها الكتاب المقدّس عند العلماء بهذا الكتاب وتاريخ تدوينه[٢].

إنّ الجهل بلغة الكتاب المقدّس وعدم الجزم بكونها لغة سامية خالصة، أو يونانية، أو خليطًا من لغات متعدّدة يجعل من نسبة هذه البلاغة إلى نصوص الكتاب المقدّس، والمبالغة في تأثير البلاغة اليونانية على بلاغة القرآن الكريم مسألة مشكلة، فكيف تؤثّر البلاغة اليونانية على البلاغة العربية ولا تؤثر على العهد الجديد الذي كتب بها؟!

السبب الثاني: أن باحثِين آخرِين -مثل الإمام عبد الحميد الفراهي، وريموند فارين[٣] من الباحثين المعاصرين في هذا المجال- قد طبقوا نظرية النظم

(١) يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، بين إشكالية التقنين والتقديس، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١١٤.

(٣) راجع كتابه: Raymond Farrin structure and quranic interpretation: a study of symmetry and coherence In Islam's Holy text, (Ashland U.S.A white cloud press,2014)

الحلَقاتي هذه دون ربطها بالدراسات الكتابية؛ وعلاوة على ذلك، فإنّ صور النظم الثلاث التي يشدّد كويبرس على أنها من خصائص البلاغة الساميّة قد ذكر باحثون آخرون أنها لا تقتصر على النصوص الساميّة، بل توجد حتى في النصوص اليونانية[١]. وفضلًا عن ذلك كلّه، فإنّ التركيز على ربط هذا المنهج بالدراسات الكتابية حصرًا، يغفل الأثر الكبير لدَوْر النظريات الأدبية واللسانية الحديثة في كثير من الأسس المعرفية والإجرائية التي يقوم عليها.

ب) ملاحظات تتعلّق بتأسيس نتائج خاطئة على منهج البلاغة الساميّة:

بنَى ميشيل كويبرس على منهج البلاغة الساميّة في تحليل بنية القرآن الكريم نتائجَ خاطئة، من أخطرها: القول بتاريخية معظم القرآن الكريم، والفهم الخاطئ لأصالة القرآن وصلته بالكتاب المقدّس، وما ترتّب على ذلك من التعسّف في استخدام مفهوم تناص القرآن مع النصوص المقدّسة، وسوف نتوقف عند هذه الملاحظات في النقاط التالية:

١. الفهم الخاطئ لأصالة القرآن وصلته بالكتب السابقة:

استشكل كثيرٌ من المستشرقين العلاقة بين القرآن والكتب السابقة، وذهب بعضهم إلى القول بأن القرآن نسخة حرفيّة من هذه الكتب، وأن النبي ﷺ كان يعتمد على مصادر خارجية (يهودية/ مسيحية) في تأليف القرآن الكريم.

---

(١) DOUGLAS, Mary, Thinking in Circles: An Essay on Ring Composition, New Haven and London, Yale University Press2007, (102).

أما ميشيل كويبرس فإنه يرفض فكرة أنّ القرآن نسخة حرفية من الكتاب المقدّس، ولكن فهمه لأصالة القرآن في صلته بالكتب السابقة محلّ اعتراض لأسباب:

السبب الأول: أنه يعتبر أن ما ورد في القرآن الكريم مأخوذ من هذه الكتب؛ ذلك أن القرآن من وجهة نظر كويبرس «يعبّر عن الخلاص الذي يقدمه الله بمصطلحات وتراكيب مستقاة من نصوص متعدّدة من الكتاب المقدّس مرتبطة بعضها ببعض»[(١)]، ومن الأمثلة التي يوردها كويبرس في أخذ القرآن من هذه الكتب أنه تبنى عددًا من الأحكام الموجودة في التوراة، بينما تأتي تعاليم القرآن المتعلقة بالأخرويات على صورة العهد الجديد والتراث المسيحي، فآية القصاص مقتبسة من الميشناه، وكذلك قصة دخول الأرض المقدسة، وجريمة قتل هابيل لأخيه[(٢)].

السبب الثاني: أن كويبرس يرى أنّ القرآن لا يختلف عن الكتب السابقة، بل يكتفي بأن يعترف له -على قدم المساواة مع هذه الكتب- بأنه يعيد صياغة التراث (اليهودي-المسيحي) السابق عليه صياغة واعية في ضوء الأحداث التاريخية التي نزل إبانها، يقول كويبرس: «يقوم القرآن بما قامت به دائمًا أسفار

(١) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص٤٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨١.

الكتاب المقدّس المختلفة: تكرّر وتعيد كتابة النصوص السابقة بطريقتها الخاصة وبنواياها الجديدة»[١].

السبب الثالث: أن كويبرس لا ينظر إلى القرآن كونه يتميز عن غيره من الكتب السابقة بخاصيّة التصديق والهيمنة، بل يعُدّ «فكرة أنّ القرآن قد حلّ محلّ الكتب المقدّسة محتويًا جُلّ جوهرها»[٢] فكرةً خاطئةً تَحُول دون استثمار نصوص الكتاب المقدّس في فهم القرآن.

إنّ فهم كويبرس لأصالة القرآن في صلته بالكتب السابقة -وإن كان متقدمًا جدًّا إذا ما قورن بنظر كثير من المستشرقين والباحثين الغربيين الذين يعتبرون القرآن نسخة حرفية من الكتب السابقة- إلا أنه لا يتّفق مع التصوّر الإسلامي الذي يعتبر القرآن وحيًا من الله، وليس كتابًا من تأليف محمد ﷺ، ويؤمن بهيمنته على الكتب السابقة كلّها.

ولا يعني ذلك إطلاقًا نفي صلة القرآن بالكتاب المقدّس، ذلك «أنّ القرآن يؤكّد مستعلنًا صلته بالكتاب المقدّس، فهو يطلب دائمًا مكانه في الدورة التوحيدية، وهو بهذا وبذاك يُثبت -باعتداد- التشابه بينه وبين التوراة والإنجيل،

(١) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص٤٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨٥.

وهو يؤكّد هذه القرابة صراحةً»[١]، لكن هذه القرابة الموجودة بين القرآن الكريم والكتب المقدّسة محكومة بخاصيّة التصديق والهيمنة التي «تسم القرآن بطابعه الخاصّ، فهو في كثير من المواضيع يبدو مكملًا أو مصححًا معلومات الكتاب المقدّس»[٢].

إن أيّ فهم لأصالة القرآن الكريم وصلته بالكتب المقدّسة لا يمرّ من خلال مفهومي التصديق والهيمنة، المنصوص عليهما في قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...}[المائدة: ٤٨] يعدّ فهمًا ناقصًا ومناقضًا للتصوّر الإسلامي.

ومن الغريب أن كويبرس الذي يدّعي أنه يقرّ بأصالة القرآن لا يكتفي بالمساواة بينه ونصوص الكتاب المقدّس فحسب، وإنما يبدو في بعض الأحيان وكأنه يؤمن بهيمنة الكتاب المقدّس على القرآن الكريم، وعدم إمكان فهم القرآن إلّا بالرجوع إليه، ومن الأدلة على ذلك البحث الدؤوب من قبل كويبرس عن أصول عبرانية وسريانية لبعض الكلمات القرآنية، من ذلك على سبيل المثال قوله إن كلمة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} هي نسخة للتعبير العبري: «قرأ بشم»،

(١) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز، ومحمود محمد شاكر، (دمشق: دار الفكر ٢٠٠٠)، ص١٩٩.

(٢) ابن نبي، الظاهرة القرآنية، ص١٩٩.

(أي: ناد، ادع باسم)، وبناء على ذلك فليست الكلمة دعوة إلى الاطلاع أو التلاوة (كما يقول المفسرون)، بل هي دعوة إلى الصلاة، وليس البتة إرسالًا للرسول[١].

٢. عدم التقيّد بضوابط توظيف تناصّ القرآن مع الكتب السابقة:

مع أن دَور التحليل النصّي ينبغي أن ينصبّ على السياق الداخلي للآيات أو السور المراد تحليلها ولا يتجاوز ذلك إلى أمور خارج النصّ، فإن كويبرس لا يقتصر عليه، ولا يرى أنه كافٍ وحده، بل يدعو إلى إضافة سياق تناص القرآن مع النصوص السابقة إلى منهج تحليل بنية القرآن الكريم.

فما التناص؟ وما مفهوم تناص القرآن مع الكتب السابقة؟ وما مبررات ربطه بالتحليل النصّي لبنية القرآن الكريم؟ وما الملاحظات النقدية على توظيفه.

مفهوم التناص:

يعتبر التناص (Intetextuality) من المفاهيم الأدبية الحديثة التي تمكن من «قراءة النصّ في علاقته بالنصوص الأخرى، التي يتفاعل بواسطتها النصّ مع الماضي والحاضر والمستقبل، وتفاعله مع القرّاء والنصوص الأخرى»[٢].

---

(١) ميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ص٢١٠.

(٢) محمد عزام، النقد والدلالة نحو تحليل سمياني للأدب، منشورات وزارة الثقافة، ط. ١٩٩٦، ص١٤٨.

وترى جوليا كريستيفا: أن الدراسة النقدية المنتجة والفعالة للنصوص لا تكمن إلّا في ملاحظة الامتدادات الأفقية للدوال، وملاحظة سيرورتها، وبالتالي ملاحظة كلّ ما تتركه من آثار، ومقابلتها بأصلها: كي نخرج بمعنى حقيقي يتماشى مع الواقع، ثم قراءة النصّ في أعماقه، باستنطاق لا وعيه، أي: مصدره وتعليقات الأسلاف عليه[(١)].

مفهوم تناص القرآن مع الكتب المقدّسة عند كويبرس:

يقول ميشيل كويبرس: إن «القراءة السياقية للنصّ التي يقوم بها التحليل البلاغي تدعو إلى الامتداد في قراءة تناصية، أي: قراءة النصّ مع الانتباه لما فيه من صدى لنصوص أخرى من التراث المتعلّق بالكتاب المقدّس الذي يرتبط به القرآن بشكل أو بآخر»[(٢)].

ويبرِّر كويبرس أهمية توظيف التناص في فهم بنية النصّ القرآني بثلاثة أسباب:

الأول: أنّ القرآن يقتبس اقتباسًا صريحًا بعض نصوص الكتاب المقدّس؛ فالآية (٢٣) من سورة المائدة مقتبسة من الميشناه.

(١) جوليا كريستيفا، علم النصّ، ترجمة: فريد زاهي (المغرب: دار طوبقال ١٩٩٧)، ص٢٢.

(٢) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، مصدر سابق، ص٤٨١.

الثاني: أنّ القرآن يترجم بطريقته الخاصّة بعض النصوص المذكورة في الكتب المقدّسة بتفصيل أوضح، مثل قصة النهي عن دخول الأرض المقدّسة وجريمة القتل التي قام بها قابيل.

الثالث: أنّ القرآن يحيل على بعض النصوص التوراتية إحالة غير واضحة لأول وهلة من خلال استعمال بعض الكلمات المتشابهة مع النصّ العبري أو اليوناني، والتي تأتي في سياقات متماثلة مع السياقات التي يستعملها القرآن فيها[1].

إنّ توظيف ميشيل كويبرس لمسألة تناص القرآن مع نصوص الكتاب المقدّس يطرح جملة تساؤلات -من قَبِيل هل يوجد تلازم منهجي بين هذا السياق وبين التحليل النصي، الذي هو لُبّ منهج البلاغة الساميّة؟ وما الضوابط التي ينبغي أن تتوفر عند توظيف هذا السياق؟ وما جدواه لفائدة إثراء معنى النصّ القرآني؟- نتناولها في الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: أنه لا يوجد تلازم منهجي بين القراءة التناصية أو توظيف الإسرائيليات في فهم القرآن الكريم، وبين الدراسة المجرَّدة لبنية النصّ القرآني، ذلك أنه بالإمكان دراسة بنية القرآن باستقلال تام عن توظيف سياق التناص مع النصوص الكتابية وهو أمر نبّه إليه كويبرس نفسه.

(١) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، مصدر سابق، ص٤٨١.

الملاحظة الثانية: أنّ توظيف الإسرائيليات أو (التناص) في فهم القرآن الكريم أمرٌ درج كثير من مفسري القرآن الكريم، قديمًا وحديثًا، وإن وقع بينهم خلاف في ضوابط ذلك التوظيف، تضييقًا أو توسّعًا، فالإمام الفراهي على سبيل المثال كان يرى أنه «لا بدّ من النظر فيما أنزل قبل القرآن لفوائد، منها: التذكر والانتفاع بالنصائح، ومنها تقوية النقد والتمييز بين الحقّ والباطل، ومنها فهم إشارات القرآن بالتفصيل، ومنها توجيه الأمور إلى صحيح التأويل، ومنها علم فضيلة الناسخ على المنسوخ، ومنها المؤانسة بالرفقاء الصالحين، والقرآن حثّ على النظر فيها لمّا أمر بالإيمان بها، ولمّا ذكر ما جاء فيها، حسب ما ورد في القرآن، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ...}[الأنبياء: ١٠٥] الآية، وقال: {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[الأعلى: ١٩]، وقال: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[النجم: ٣٦-٣٨]»[(١)].

الملاحظة الثالثة: أنّ توظيف سياق تناص القرآن مع النصوص المقدّسة ينبغي أن يكون محكومًا بمبادئ وضوابط، من أهمها: مبدأ هيمنة القرآن على الكتب السابقة، وجدوى توظيف سياق التناص في إضافة معنى جديد إلى القرآن الكريم، وعدم تقديم سياق التناص مع الكتب المقدّسة على السياق القرآني عند

(١) عبد الحميد الفراهي، التكميل في أصول التأويل، ضمن رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الأولى، مصدر سابق، ص٢٤١.

التعارض، وهذه الضوابط لا يبدو أن كويبرس يعيرها أيّ اهتمام؛ ولذلك فقد ارتكب أخطاء منهجية في هذه الموضوع، منها:

تقديم سياق التناص مع نصوص الكتاب المقدّس على السياق القرآني:

من الأمثلة على تقديم كويبرس سياق التناص مع الكتاب المقدّس على السياق القرآني نفسه، أنه ينتقد تفسير (المغضوب عليهم والضالين) في سورة الفاتحة باليهود والنصارى، ويعدّه «تفسيرًا أيديولوجيًّا مغرضًا لا أساس له في النصّ»[(١)]، ولكي يقول: إن المغضوب عليهم والضالين لا يقصد بهم طوائف معينة، يذهب كويبرس إلى نصوص الكتاب المقدّس، ويقارن بها القرآن ليصل إلى التفسير الصحيح، وهو أن المقصود بالمغضوب عليهم والضالين عموم الأشرار، لا اليهود والنصارى حصرًا.

ولكن كويبرس هنا لا ينتبه إلى أن تفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى، اعتمد فيه المفسرون المسلمون على تفسير القرآن بالقرآن، أو ما يسميه كويبرس «التفسير بالتناظر النصّي»[(٢)]، ولا شك أن التناظر النصّي، أو التناص الداخلي، أَولى في الرعاية عند التفسير -باعتراف كويبرس نفسه- من

(١) ميشيل كويبرس، الكتاب المقدس والقرآن: نسق أدبي واحد، ترجمة: عبير عدلي، مركز تفسير للدراسات القرآنية ص١٧ منشور على الرابط: https://tafsir.net/translation/46/

(٢) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص٢٠.

التناص الخارجي مع سياق نصوص الكتاب المقدّس الذي لجأ إليه كويبرس في هذه المسألة.

ولا يعني هذا نفي أن يكون المقصود بالمغضوب عليهم الذين نبذوا الحق بعد ما عرفوه، وبالضالين الذين أخلدوا إلى الباطل مطلقًا، من غير تقييد باليهود والنصارى كما ذهب إلى ذلك مفسرون قدامى ومحدثون، وإنما نقصد أن كويبرس هنا لا يتقيد بضوابط أو معايير واضحة في توظيفه لسياق التناص الذي يستند إليه في فهم بنية القرآن الكريم.

التعسّف في استعمال سياق التناص:

لا يقول لنا كويبرس ما جدوى اللجوء إلى النصوص السابقة أو التناص في كلّ مرة يلجأ إليه؟ وما المعنى الذي يضيفه سياق التناص إلى القرآن الكريم لم يكن موجودًا من قبل؟

إنّ اللجوء إلى نصوص الكتاب المقدّس في فهم القرآن ينبغي أن يكون مقيدًا بضوابط، وأن يكون ذا فائدة لمعنى النصّ القرآني، أمّا اللجوء إليه فقط لمجرد القول -وإنْ بتعسف- أن القرآن يتشابه مع هذا المقطع أو ذاك من نصوص الكتاب المقدّس، فهو دوران في حلقات مفرغة، ينبغي أن ينزّه عنه البحث العلمي الجاد.

٣. القول بتاريخية القرآن الكريم:

قبل أن نناقش كويبرس فيما يذهب إليه من القول بأن في القرآن الكريم ما هو تاريخي قد تم تجاوزه في الزمن الحاضر نعرّف مفهوم التاريخية.

يقصد بمفهوم التاريخية أن للأحداث والممارسات والخطابات أصلها الواقعي وحيثياتها الزمانية والمكانية، وشروطها المادية والدنيوية، كما تعني خضوع البنى والمؤسّسات والمصطلحات للتطوّر والتغيير، أي: قابليتها للتحويل والصرف وإعادة التوظيف[١].

أمّا القول بتاريخية القرآن؛ فالمقصود به وصل النصوص القرآنية بسياقها التاريخي وبظروفها، والغاية من ورائه القول بعدم صلاحية الأحكام التي في القرآن لكلّ زمان غير الزمان الذي وردَت ونزلَت فيه[٢].

ومن الجدير بالذّكر أنّ المفسرين وعلماء أصول الفقه قد نبهوا على الأهمية البالغة للتعرّف على الخلفية التاريخية لنزول القرآن الكريم، وميزوا بين آيات الأحكام وآيات الاعتقاد، ومع ذلك فإنهم لم يصلوا إلى القول بقصر بعض آيات القرآن على البيئة التي نزلت فيها، وإنما اعتبروا أن التشريعات التي جاء بها

(١) علي حرب، نقد النصّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥، ص٦٥.

(٢) طه عبد الرحمن، الحوار أفقًا للفكر، ط٢ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٤)، ص٨٩.

القرآن ملزمة، ومؤبدة، وعابرة لظروف الزمان والمكان، الذي نزلت فيه أول مرة.

أمّا كويبرس فيذهب إلى القول بتاريخية معظم القرآن الكريم، ويعتمد في ذلك على دليل بلاغي؛ إذ يقول إن منهج البلاغة الساميّة الذي يعتمده في تحليل بنية النصّ القرآني قد كشف له التمييز بين نوعين من الآيات القرآنية.

النوع الأول: يطلق عليه كويبرس (الآيات الطرفية)، وهي الآيات القرآنية التي تأتي في أطراف البنية النصيّة للسورة وغالبًا ما تتعلق بنشأة المجتمع الإسلامي، مثل: الآيات التي نزلت في مؤامرة اليهود على قتل النبي، ورفْضِ كثير من أهل الكتاب لطاعته، وأحكام الصلاة، وكفارة الأيمان، والإشهاد على الوصايا، وغيرها من التشريعات التي يرى كويبرس أنها قد ارتبطت بشكلٍ كبيرٍ «بالمكان» (الجزيرة العربية) و«الزمان» نشأة المجتمع الإسلامي[١].

النوع الثاني: الآيات القرآنية التي تحتلّ البنى المركزية للوحدات النصيّة في السورة، ويطلِق عليها كويبرس «الآيات الإستراتيجية»، وهي آيات محدودة تأتي وسط النوع الأول من الآيات، وتتّسم على الأقلّ من ناحية مقاصدها -كما يقول كويبرس- بالعموم والعبور للزمان والمكان[٢].

(١) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، مصدر سابق، ص٤٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٤٦٨.

إنّ القول بأن معظم القرآن الكريم تاريخي ولا يواكب الزمان والمكان هو قول لا دليل عليه، وما يعدّه كويبرس دليلًا بلاغيًّا ليس مطردًا، حتى عند كويبرس نفسه، ذلك أن كثيرًا من سور القرآن الكريم تتعلّق بالعقائد والأخلاق، ولا نجد فيها ذكرًا لأمور تتعلّق بالتشريع ولا بنشأة المجتمع الإسلامي، وغير ذلك من القضايا التاريخية كما هو الحال في كثير من السور المكية.

فإذا نظرنا مثلًا إلى سورة الفاتحة نجد أن (الآيات الطرفية) والآيات المحورية فيها تتحدّث -باعتراف كويبرس نفسه- عن أمور عابرة للزمان والمكان؛ فالقسم الأول: الآيات: (١-٤) دعاء لعبادة الله بأسمائه الحسنى، والقسم الثاني: الآيات: (٦-٧) دعاء لطلب الهداية إلى الطريق المستقيم؛ أمّا القسم المركزي: الآية: (٥) فإقرار بالعبادة وطلب للعون يرتبط بالقسمين المتطرفين معًا[١].

ومن الأمثلة على عدم اطراد قاعدة التمييز البلاغي بين الآيات المحورية التي تأتي في وسط البنى النصية والآيات الفرعية التي تحتلّ أطراف البنى النصيّة للسورة، أن المقاطع الطرفية لسورة المائدة -التي خصّص كويبرس كتابًا كاملًا لتحليلها- تتعلّق بالدخول في الميثاق، أي: الإسلام -كما يقول كويبرس نفسه-

(١) انظر: في نظم القرآن، ص١٤٨.

أمّا الآيات التي تقع في محور سورة المائدة فتتعلّق بالتشريع ونشأة المجتمع الإسلامي التي يعتبرها كويبرس مسائل تاريخية[١].

فلو اطردت هذه القاعدة لكان الأولى أن تكون أطراف سورة المائدة هي المتعلّقة بالتشريع ونشأة المجتمع، ولكان الأَولى أن يكون محورها هو الذي يتحدّث عن الدخول في ميثاق الإسلام.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ بعض العلماء المسلمين الذين طبقوا منهج التحليل النصّي في دراسة نظام القرآن، وتوصلوا قبل كويبرس إلى التمييز بين بنية آيات التشريع وآيات الاعتقاد والأخلاق، مثل الإمام عبد الحميد الفراهي لم يصلوا إلى نفس النتيجة التي وصل لها كويبرس، ولم يذهبوا إلى القول بأن في القرآن الكريم ما هو تاريخي ومتجاوز.

لقد توصّل الفراهي من خلال منهجه في الكشف عن نظام القرآن إلى ما توصل إليه كويبرس من التمييز بين الآيات الكلية التي لا تتعلّق بزمان ولا بمكان، ويطلق عليها الفراهي «معالم السور» وبين الآيات الخاصّة التي جاءت عن عرض لغرض التشريع.

(١) ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص٤٥٥.

يقول الفراهي: «لا يخفى على أهل النظر والتمييز أنّ آيات السورة ليست كلّها متساوية في الأهمية، فإنك ترى بعضها ترتفع من بين أطرافها، وذلك هو الأنسب من جهة الحسن ومن جهة التعليم، وهذا التفاوت كما هو ظاهر من جهة النظر فكذلك صرح به النبي ﷺ حيث دلّ على مزية بعض الآيات»[(١)]، ويرى الفراهي أيضًا «النظر في آيات السور، لا يدع شكًّا في أن عمود الكلام ليس إلّا الأمور الكلية التي لا تتعلق بوقت وزمان، وأمّا الأحكام الخاصّة فجاءت عن عرض ووضعت تحت الكليات إلّا قليلًا. ومع ذلك لم يقتصر عليها حتى خولطت بالكليات والحكم، كما ترى في سورة النور بدأت بالأحكام ولكن العظات والوصايا العالية ضمت بها، فلا بد للمفسّر أن ينظر في القرآن من جهة الحكم ويربط الأحكام بأصولها، وأمّا الوقائع الخاصّة فجعلت مواقع للتنزيل؛ لتكون تقريبًا إلى الاستماع والتوجه»[(٢)].

وتكشف المقارنة بين ما توصّل إليه كويبرس وما توصّل إليه الفراهي من التمييز الدلالي بين آيات القرآن عن أمرين لا بد من التنبيه عليهما؛ **الأمر الأول**: أن كويبرس قد سُبِق إلى هذه المسألة -ولم يكن مكتشفها كما يدّعي- وكان مقصِّرًا في الاطلاع على دراسات عبد الحميد الفراهي التي تتّفق مع منهج البلاغة الساميّة الذي يعتمد عليه في المفهوم، والأسس المنهجية، والنتائج المتوصل إليها.

(١) الفراهي، عبد الحميد، رسائل الإمام الفراهي، المجموعة الأولى، ص٩٢.

(٢) الفراهي، دلائل النظام، مصدر سابق، ص٦٢.

أمّا الأمر الثاني: فهو أنّ هذا التمييز لا يقتضي ضرورة القول بتاريخية القرآن الكريم؛ لأنه ليس مطردًا عند كويبرس نفسه من جهة، ولأن العلماء المسلمين الذي قالوا بهذا التمييز لم يصلوا إلى نفس النتيجة التي وصل إليها، ما يدلّ على أن كويبرس كان محكومًا في هذه المسألة بأفكاره المسبقة.

لقد فات ميشيل كويبرس -كما فات غيره من أصحاب دعاوى تاريخية القرآن- أنّ «للنصّ القرآني وضعًا تاريخيًّا لا يضاهيه فيه غيره، حيث إنه هو النصّ الديني الخاتم، والنصّ الخاتم يمتد زمنه إلى ما وراء زمن نزوله، حتى إنّ كلّ زمن يليه يكون زمنه، من هنا يتعيّن أن نبحث في الآيات القرآنية، لا عن علامات الماضي حتى نوقف صلاحيتها على هذه العلامات واقعين في تاريخية ماضوية، وإنما أن نبحث فيها على علامات الحاضر حتى نستمد منها معالم الاهتداء في الحياة صانعين لتاريخية مستقبلية، فلا بدّ للنصّ الخاتم أن يكون نصًّا راهنيًّا، وأن تكون راهنيته دائمة، أضف إلى هذا أنّ القرآن اختصّ بقيم أخلاقية وروحية عليا، والقيمُ لا يَنال منها توالي الزمن كما ينال من الوقائع، بل من القيم ما ينال من الزمن ولا ينال منها؛ ذلك لأن إرادة تطبيق هذه القيم تكون هي السبب في صنع التاريخ، أو على الأقل، لأن التعلّق بها يكون سببًا في اتخاذ الأحداث الوجهة التي اتخذتها؛ ومن ثَمَّ، فلا نظير للنصّ القرآني في حداثته التاريخية»[1].

(١) طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ط١ (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦)، ص٢٠٤.

الخاتمة:

حاولنا في هذا البحث أن نستعرض مفهوم منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن الكريم، كرافد معرفي جديد في دراسة وحدة النصّ القرآني، وأن نقرأه في سياق الدراسات القرآنية الإسلامية، التي تناولَت نظم القرآن وبنيته، وألمحنا كذلك إلى أن هذا المنهج يندرج في سياق تطور الاهتمام الغربي بمقاربة بنية القرآن الكريم مقاربة تزامنية (Synchronic Approch) تسعى إلى فهم القرآن في نسخته الحالية، بغضّ النظر عن مصدره ومأتاه.

كما عرض البحث شرحًا للأسس النظرية والضوابط المنهجية التي قامت عليها مقاربة القرآن من منظور البلاغة الساميّة، مع ذكر أمثلة تطبيقية عليها، وبيّن البحثُ كذلك أن هناك مميزات ثلاثة تميّز هذه المقاربة من غيرها من المقاربات التي تناولت بنية النصّ القرآني، وهي: التدرج في تحليل بنية النصّ القرآني، والاعتماد في تحديد بنية النصوص القرآنية على دلائل النظم الموجودة في النصّ القرآني نفسه، وتحديد أشكال ثلاثة من النظم لا تعدُوها بنية القرآن الكريم.

وأوضح البحثُ أن لهذا المنهج آثارًا إيجابية، من أهمها: تفنيد مزاعم المستشرقين حول تفكّك النصّ القرآني، وترسيخ مبدأ القراءة السياقية للقرآن الكريم، وآثارًا سلبية، من أخطرها: القول بتاريخية القرآن الكريم، وفهم أصالة القرآن وصلته بالكتب السابقة فهمًا يتنافى مع التصوّر الإسلامي لمفهوم الوحي، ومفهوم هيمنة القرآن على الكتب السابقة كلّها.

أخيرًا.. يمكن القول: إنّ القصور الذي ظلّت تعاني منه دراسة بنية القرآن على مدى عقودٍ من الزمن يعود بالدرجة الأولى -من وجهة نظرنا- إلى غياب سؤال المنهج، وشيوع المقاربة التجزيئية في معظم الدراسات التي تناولت بنية القرآن الكريم، ولعلّ هذه المقاربة تحرّك المياه العلمية الراكدة في هذا المجال.

المصادر والمراجع:

- أبو الحسن بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩١١).
- أمين الخولي، **دراسات إسلامية**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٦).
- أمين الخولي، **من هدي القرآن**، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٦).
- بدوي، عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**، (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧).
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: محمد عبد الحميد شيخ المدرسة النظامية (حيدر آباد، ١٩٦٩).
- تيودر نولدكه، **تاريخ القرآن**، تعديل: فريديريش شفالي، ترجمة: جورج تامر، (بيروت: مؤسسة كونراد أدنارو، ٢٠٠٤).
- جوليا كريستيفا، **علم النصّ**، ترجمة: فريد زاهي (المغرب: دار طوبقال، ١٩٩٧).

- الحافظ افتخار أحمد، **الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ومنهجه في تفسيره (تدبر قرآن)**، رسالة دكتوراه منشورة على الرابط: http://thesis.mandumah.com/Record/147918/Details
- الخطابي، **بيان إعجاز القرآن**؛ في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله وحمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥).
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).
- الرافعي، مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، (القاهرة: مكتبة الإيمان، ١٩٩٧).
- ربحي كمال، **المعجم الحديث عبري-عربي للمترجم وللطالب الجامعي**، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢).
- رضوان عمر بن إبراهيم، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع).

- رولان مينيه وآخرون، **طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف**، (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٣).
- ريجس بلاشير، **القرآن: نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٤).
- زيتون، علي مهدي، **إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي**، (بيروت دار المشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م).
- سامر رشواني، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؛ دراسة نقدية**، ط١ (حلب: دار الملتقى، ٢٠٠٩).
- سعيد حوَّى، **الأساس في التفسير**، ط٦ (القاهرة دار السلام، ١٤٢٤هـ).
- طه عبد الرحمن، **الحوار أفقًا للفكر**، ط٢ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٤).
- عائشة عبد الرحمن، **القرآن وقضايا الإنسان**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩).

- عبد الحميد الفراهي، **التكميل في أصول التأويل**، ضمن رسائل الإمام الفراهي المجموعة الأولى، (الهند: الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، ١٩٩٢م).
- عبد الحميد الفراهي، **نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، اعتنى به عبيد الله الفراهي، (تونس: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م).
- عبد الحميد الفراهي، **أساليب القرآن**، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، (الهند: الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح).
- عبد الحميد الفراهي، **دلائل النظام**، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، ط٢ (الهند: الدائرة الحميدية، ١٩٩١).
- عبد الراضي محمد عبد المحسن، **ماذا يريد الغرب من القرآن؟** (دولة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٦).
- عز الدين المناصرة، **علم الشعريات: قراءة مونتاجية في أدبية الأدب**، ط١ (عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٧م).

- العسكري، أبو هلال، **الصناعتين: الكتابة والشعر**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار الفكر العربي).
- علي حرب، **نقد النصّ**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥.
- علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط٧ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧).
- كبدي فاركا، **البلاغة وإنتاج النصّ**، ترجمة: محمد العمري، كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين.
- مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (بيروت: دار الفكر، ط ١٤، ٢٠١٦).
- محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، (الكويت: دار القلم، ١٩٥٧م).
- محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**، ترجمة: محمد عبد العظيم عليّ (الكويت: دار القلم، ١٩٨٤م).
- محمد عزام، **النقد والدلالة نحو تحليل سمياني للأدب**، منشورات وزارة الثقافة، ط: ١٩٩٦.

- مستنصر مير، **السورة وحدة نصية؛ تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين**، ترجمة: حازم محيي الدين على هذا الرابط: https://www.mominoun.com/auteur/1023
- مسلم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ط٤ (بيروت: دار القلم، ٢٠٠٥م).
- الموسوعة الفلسفية، ط:١ (معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦).
- ميشيل كويبرس، **نظرة جديدة إلى نظم القرآن**، ترجمة: يوسف حبيب نقولا حبيب على الرابط: https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers
- ميشيل كويبرس، **الكتاب المقدس والقرآن: نسق أدبي واحد**، ترجمة: عبير عدلي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص١٧ منشور على الرابط: https://tafsir.net/translation/46/
- ميشيل كويبرس، **دليل تدريبي للتحليل البلاغي للقرآن الكريم**: مثال سورة الحاقة (٦٩) منشور على الرابط: https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers
- ميشيل كويبرس، **البلاغة الساميّة في القرآن**، ترجمة: خليل محمود اليماني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، على الرابط: https://tafsir.net/translation/45/

- ميشيل كويبرس، **في نظم القرآن**، ترجمة: عدنان المقراني وطارق منزو، ط١ (بيروت: دار المشرق، ٢٠١٨).
- ميشيل، كويبرس، **في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي**، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، ط١ (بيروت: دار المشرق، ٢٠١٦).
- يوسف الكلام، **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، بين إشكالية التقنين والتقديس**: دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدّس في الغرب المسيحي، ط١ (دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر).

المراجع الأجنبية:

Angelika Neuwirth**, "Form and Structure of the Qur'an"**, Encyclopedia of the Qur'an, ed Jane McAuliffe, Leiden: Brill, 2001 – 2007.

DOUGLAS, Mary, **Thinking in Circles: An Essay on Ring Composition**, New Haven and London, Yale University Press2007.

Matthias Zahniser, **Major Transitions and Thematic Borders in Two Long Sūras: Al-Baqara and al-Nisa'**, in Issa Boullata, Literary Structures of Religious Meaning, Richmond: Curzon Press, 2000.

Michel Cuypers, **A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Qur'an** translated by Jerry Ryan (U.S.A Lockwood press,2018)

Mustansir Mir, ***Coherence on the Qur'an***, (Washington: American trust publication, 1986)

Neal Robinson, **Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text**, London: SCM Press, 1996.

Pierre Crapon de Caprona**, Le Coran, aux sources de la parole oraculaire: structures rythmiques des sourates mecquoises**, Paris : Publications Orientalistes de France, 1981.

Raymond Farrin**, structure and quranic interpretation : a study of symmetry and coherence In Islam's Holy text**, (Ashland U.S.A white cloud press,2014).